

الإعلام السياسي



صلاح عبد الحميد



الإعلام السياسى

تأليف

صلاح عبد الحميد

طبعة ٢٠١٨

عبد الحميد . صلاح.

الإعلام السياسي / صلاح عبد الحميد:- الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي،
٢٠١٨ - ٢.

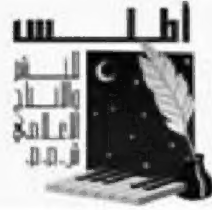
١٦٠ ص، ٢٤ سم

تدمك: ٤ ٦٥٧ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- وسائل الإعلام والسياسة ٢- الإعلام

أ- العنوان

١٦، ١- ٣٠



رئاسة مجلس إدارة
شركة
٢٠١٨

عادل المصرى

عضو مجلس إدارة
شركة
٢٠١٨

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٨/٣٨٥٥

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٦٥٧-٤

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٨

الكتاب : الإعلام السياسى

المؤلف : صلاح عبد الحميد

الغلاف : أحمد السعيد

الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - الجيزة

sales@atlasdic.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٠٤٢٤٧١ - ٣٣٠٤٢٤٧١ - ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

إهداء

إلى أمى الحبيبة بعد تقبيل يديها ..
إلى الأب الغالى ...

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

بات الاعلام يحتل مكانة مرموقة نتيجة لما يمتلكه من قدرة على التأثير والاقناع، وتشكيل الافكار، وصياغة الرأي العام، حيث اصبح الاعلام عنصرا من عناصر التنمية وعاملا متزايدا الاهمية في التطوير السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

ونستطيع القول ان التطور الكبير الذي طرأ على وسائل الاعلام والاتصال والتكنولوجيا ساهم في ظهور وسائل اعلام حديثة تتميز بعنصر السرعة في نقل الخبر والمعلومة، مما جعله يخترق الحدود والحواجز بين الدول، ويصل الى جميع الناس من خلال استخدام وسائل جديدة مثل الانترنت، والموبايل وبرامجهما. وهذا عزز من دور الاعلام في المجالات كافة خاصة المجال السياسي.

تطور الاعلام السياسي مع تطور وسائل الاعلام المختلفة إذ اصبح يهتم بكيفية توظيف واستغلال تلك الوسائل في العملية السياسية، إذ يقوم بنقل وتحليل النشاطات السياسية وإتاحة المجال امام السياسيين وقادة الرأي للحصول على المعلومات ، وتلقي ردود افعال الناس نحو سياساتهم وقراراتهم ومواقفهم، مما عزز العمليات والخطوات المصاحبة لصنع القرار السياسي فضلا عن اعتماد الناس عليها في تكوينه واعتقاده واتجاهاته ومواقفه المختلفة إزاء الاحداث والسياسات التي تقع داخل الواقع المحيط به.

ويمكن ان نعرف الاعلام السياسي بأنه احد فروع الاعلام الذي يتميز بقدرته على التأثير والتغيير والاقناع ويهتم بتغطية الموضوعات السياسية وهو يسعى ايضا لتحقيق أهداف سياسية وهو يعتبر من الادوات الفعالة التي يعتمد عليها اي نظام سياسي لتحقيق استراتيجياته المختلفة.

هناك علاقة وطيدة بين الاعلام السياسي والعملية السياسية ، حيث تعتبر وسائل الاعلام حلقة الوصل بين الجمهور والنظام الحاكم صانع القرارات، وهذه الوسائل

هي التي تسهم بدرجة كبيرة في إنجاح او فشل النظام السياسي من خلال الوظائف والانشطة السياسية التي تقوم بها.

تشكل المشاركة السياسية للأفراد من خلال النشاطات السياسية التي يساهم بمقتضاها أفراد المجتمع في اختيار حكاهم وفي صياغة السياسة العامة بشكل مباشر او غير مباشر إطارا مهما في العمل السياسي خاصة في تقليد المناصب السياسية ، او العضوية في الاحزاب او الترشح في الانتخابات، والتصويت ومناقشة الامور العامة، والاشتراك في المظاهرات. ومن دون الاعلام لا يمكن لهذه النخب السياسية ان تمارس دورا قويا وفاعلا ، لذلك فإن المشاركة السياسية تعني في اوسع معانيها، حق المواطن في أن يؤدي دورا معينا في عملية صنع القرارات السياسية، والاشتراك في مختلف مستويات النظام السياسي.

يهدف الاعلام السياسي الى التأثير في الرأي العام ، حيث يستهدف تحقيق أهداف معينة على المستويين الوطني والدولي.

يرى علماء الاجتماع ان مفهوم البيئة السياسية هو ذلك المجال المكاني الذي يعيش فيه الانسان ويتأثر به ويؤثر فيه، وقد يتسع هذا الوسط ليشمل منطقة كبيرة جدا، وقد يضيق فلا يتضمن سوى مساحة بسيطة لا تتعدى بضعة امتار من حوله، فالبيئة كل ما تخبرنا به حواسنا وهي كل شيء يحيط بالانسان. أما البيئة بالمعنى الواسع فتشير الى المحيط الاجتماعي التي يتضمن النظم الاجتماعية والايدولوجية.

للاعلام السياسي أهداف وغايات محددة ومرسومة ، فالسياسي يتحدث الى الناس من خلال وسائل الاعلام لفرض ممارسات السلطة، كما ان الافراد يشاركون في العملية السياسية ، من خلال وسائل الاعلام ، من اجل التعبير عن ارائهم تجاه القضايا الوطنية، لذلك فإن تدفق المعلومات من وسائل الاعلام الى قادة الرأي تعتبر هي الوسيلة المثلى للاعلام السياسي ، نقلا لتلك المعلومات التي تبثها وسائل الاعلام بطريق التحليل وتفسير وجهات النظر لتلك المعلومات والرسائل الاعلامية.

يعتبر التلفزيون من أكثر الوسائل الاعلامية في تحقيق أهداف الاعلام السياسي، باعتباره وسيلة مسموعة ومرئية اكثر جاذبية وتأثيرا وشعبية مقارنة بالوسائل الاعلامية الاخرى، ويعتمد عليه في طرح القضايا السياسية الهامة، سواء من خلال المؤتمرات ، الندوات، المحاضرات، المعارض، والملصقات والزيارات.

الفصل الأول

تصنيف وسائل الإعلام

وسائل الإعلام الرئيسية (MSM)

هي وسائط الإعلام التي يتم نشرها عبر قنوات توزيع أكبر، وهي تمثل بالتالي ما يتعرض له على الأرجح معظم مستهلكي الوسائط الإعلامية. ويشير أيضًا المصطلح إلى وسائط الإعلام التي تعكس عمومًا تيارات الفكر أو التأثير أو النشاط السائدة.

يشير غالبًا هذا المصطلح إلى المؤسسات الإخبارية الكبيرة بما في ذلك الصحف ووسائل الإعلام الإذاعية، التي تقوم بعمليات اندماج واستحواذ تدريجية في الولايات المتحدة وغيرها من الدول بمعدل متزايد بدءًا من تسعينيات القرن العشرين. وقد أثار التركيز على ملكية وسائل الإعلام مخاوف من انسجام وجهات النظر المقدمة لمستهلكي الأخبار. وبناء على ذلك فإن مصطلح وسائل الإعلام الرئيسية تم استخدامه على نطاق واسع في المحادثات والمدونات غالبًا بمعنى يوحى بمعارضته أو ازدرائه أو رفضه عند مناقشة الإعلام وتحيز الأجهزة الإعلامية.

المؤسسات الإعلامية مثل سي بي إس و نيو يورك تايمز تضع القاعدة لوكالات الأنباء الأصغر عن طريق إجراء مناقشات تدير هذه الوكالات التي تفتقر للموارد اللازمة من أجل إجراء المزيد من البحوث الفردية وتغطية الأخبار وتستخدم وكالة أسوشيتد برس هذه الوسيلة الأساسية حيث تحصل العديد من وكالات الأنباء على الأخبار الخاصة بها. ونتج عن ذلك تأثير إعادة التدوير الذي تنتقل فيه الفكرة العضوية إلى التيار الرئيسي الذي يختار المناقشة وتعيد الوكالات الأصغر قراءتها بدون اختلاف في وجهة النظر.

وسائل الإعلام السياسية

هي وسائل اتصال تملكها أو تحكمها أو تديرها أو تؤثر فيها كيانات سياسية، بهدف الترويج لآراء هذه الكيانات. والمصطلح الشبيه وسائل الإعلام المعيارية يؤكد على السمات الاجتماعية والفنية لوسائل الإعلام نفسها في تشكيل القرارات. وقد لعب هارولد إينيس ومن بعده مارشال مكلوان - وهما مُنظران إعلاميان كنديان - دورًا مؤثرًا في تطوير هذه النظرية.

رغم أنه من اليسير التعرف على وسيلة الإعلام السياسية في قناة تلفزيونية أو مجلة أو صحيفة رسمية تعلن بوضوح انتمائها لجهة ما، قد تكون هناك مخاوف عميقة بشأن إخضاع الاتصالات للمصالح السياسية وحياد وسائل الإعلام التي لا تعلن عن انحيازاتها الحزبية. وهذا التأثير لا يكون واضحًا دومًا، ويؤدي إلى قبول الناس للأفكار التي يطرحها مَنْ يأملون في التحكم في الاتصالات من أجل مصلحة المجتمع، أو في تحول مَنْ كانوا يؤيدون في السابق حرية الاتصال وتمكين الأقليات إلى الاعتراض عليها.

يؤمن البعض بأن المجتمعات الكبيرة تحتاج بالفعل إلى إقامة قنوات من الاتصال. ومن هذا المنطلق، يكون الهدف غالبًا من وسائل الإعلام هو تشكيل الرأي العام، أو على الأقل التأثير فيه. ويُعد هذا الرأي العام العامل المشترك الأصغر بين جميع أفراد المجتمع. ووسائل الإعلام أحادية الاتجاه، ويُساء استخدامها أحيانًا. فتعلم الإغريق من مصر الفرعونية أنه قد تكون هناك بعض المخاطر عند اتحاد الوسيط مع المنفذين، أي تركز السلطة في جهة واحدة. لكن ذلك يعني ضمنيًا قبول مفهوم الإعلام كسلطة، وهو المفهوم الذي تتم مشاركته على نطاق واسع، لكن ليس بوجه عام. ويجادل المعارضون بأن الحقيقة البسيطة المتمثلة في تحقيق التواصل لا تؤدي في حد ذاتها إلى نتيجة مباشرة على الرأي العام، إلا إذا كان هذا الرأي العام لا يتعدى كونه كتلة سلبية لا حيلة لها أمام التواصل الذي لا يمكن مقاومته.

إن النظريات والتطبيقات الديمقراطية الحديثة، خاصة بعد نظريات مونتسكيو، تعتمد على فصل القوى: بمعنى الفصل بين فروع السلطة التنفيذية (الحكومة والشرطة)، والتشريعية (البرلمان) والقضائية (المحاكم). ويشيع في الوقت المعاصر، خاصة في المصطلحات المتخصصة الصحفية، تعريف وسائل الإعلام بأنها السلطة الرابعة. ويُشار عادة إلى أن ما يميزها عن غيرها من السلطات الأخرى حقيقة أن قوة التأثير (في النهاية) في الرأي العام باستخدام وسائل الإعلام لا يمكن التحكم فيها، لأن وسائل الإعلام "غير مادية" يصعب تقدير حجمها. لكن يرى آخرون أن هذا ليس اختلافًا، نظرًا لأن التحكم في السلطات الرسمية يصعب للغاية التحقق من صحته فعليًا. ولا ريب أنه يصعب عادةً التوصل إلى مَنْ يتحكم في وسيلة الإعلام، ومدى ما تتمتع به هذه الوسيلة من فعالية في تحقيق الأهداف المرجوة منها. لذا، يُشار إلى أنه عندما تكتسب إحدى السلطات الثلاث "التقليدية"، التي أوضحها مونتسكيو، مزيدًا من السيطرة على وسائل الإعلام، يشكل ذلك خطرًا على استمرارية الديمقراطية، وتضاربًا في المصالح في النهاية.

في الواقع، صارت الشركات الإعلامية الخاصة تتمتع بقدر كبير من السلطة منذ ابتكار الصحافة المطبوعة والسينما والراديو والتلفزيون. وقديمًا، يوضح عصر النسّاخ (من تولوا النسخ اليدوي في العصور الوسطى) مدى الاهتمام الذي توليه السلطات الرسمية عادةً للاتصالات. وفي عصرنا الحالي، مَنْ يعملون في المهن الإعلامية يتم اختيارهم من قبل جهات حاكمة، ويعلنون بصراحة عادةً عن معتقداتهم السياسية، معترفين في ذلك بافتقارهم للحيادية. ويُرى عملهم أحيانًا بأنه صار جزءًا من تواصل الجهات التنفيذية أو البرلمانية.

لا ريب أنه عادةً ما يُقال أن وسائل الإعلام يمكن أن تكون نافعة (من وجهة نظر مَنْ يبحث عن التحكم في تشكيل إجماع في الآراء) من أجل ضبط المشاعر الشائعة عن طريق صرف انتباه الجماهير عن المشكلات التي تهدد استمرار البشرية (مثل الاحترار العالمي، وثقب الأوزون، والنفائات المشعة، ...)، و"الحرب النفسية" بتهديد الجماهير حتى

تتقبل التدخلات الأجنبية أو الخارجية في بلادها. لكن هذا لكي يحدث، مثلما هو معروف، يتطلب جمهورًا يتألف أغلبه من أفراد لا يملكون الوسائل اللازمة "لمقاومة" هذا الضغط العقلي. وانخفاض مستوى التعليم لدى الأفراد، ربما بسبب التراجع المقصود في كفاءة المدارس، يُعد أحد الأسباب الرئيسية لنجاح هذه المحاولات.

يُدخل البعض التعليم في فئة "وسائل الإعلام الاجتماعية". ومن ثم، فهو يمكن أن يُستخدم كوسيلة قوية لتقديم بعض المفاهيم "المفيدة سياسيًا" للأفراد: بمعنى أن ما يتعلمه المرء في شبابه، أي في مرحلة تكوين ملامح شخصيته الأساسية (التي يؤمن كثيرون بأنها نادرًا ما تتغير فيما بعد)، يستمد من أسرته ومدرسته وغير ذلك من جماعات الأفراد الأخرى التي يتعامل معها، ووسائل الإعلام. وبعيدًا عن دراسة الحقائق، يمكن أن يكون التعليم مفيدًا (كما يقترح البعض) كوسيلة للتكيف الذي يمارسه عادةً التعلم النفسي والفني. ومن ثم، يمكن أن يتداخل التعليم مع وسائل الإعلام السياسية، وإن كانت الآثار الخاصة بالتكيف في هذين المجالين قد تختلف كثيرًا في طبقات المجتمع المختلفة (مع الاعتراف بوجود استثناءات كثيرة). لكن هذا الأمر يصعب تمييزه للغاية عن الانحياز الثقافي الذي يمثل أحد جوانب الخلاف الشائعة بشأن وسائل الإعلام "العادية" أيضًا.

نذكر أحيانًا أيضًا سلطة التكنولوجيا لأن الحضارات الغربية تستخدم وسائل الإعلام لنقل المعرفة وتمكين التقدم الفني. ويشير بعض نقاد الحضارة إلى أن المجتمعات الحديثة تعتمد على التكنولوجيا من أجل ابتكار وسائل تكنولوجية جديدة والترويج لها، مما يؤدي عادةً إلى درجة من الدعاية المؤيدة للتكنولوجيا، وهذا الانتشار الخلفي يعني أن البشرية تتخلى عن سلطتها لصالح ماكينة حية. وكما هو الحال في أي نظام يتجدد ذاتيًا، يصعب التحكم في هذه الآلية. ويرى البعض أن هذا يؤدي إلى ما يُسمى التفرد التكنولوجي، إذ تعزز تكنولوجيا الإقناع إنتاج المزيد منها حتى يقتنع الجميع بعدم فعل أي شيء سوى العمل على تطوير التكنولوجيا، مع تمكين المجتمع منها بفعالية.

لكن في الوقت الحالي يرى الكثيرون هذه العملية نافعة - فيَعَد الإنترنت وسيلة إعلام شخصية وعامة، ويتسم بالمرونة والضخامة. يوفر الإنترنت وسيلة اتصال كان من المستحيل التنبؤ بها في المجتمعات السابقة. وقد كتب مكلوان في هذا الشأن: "في هذا العصر الإلكتروني نشهد تحول البشر المتزايد إلى معلومات، مع التوجه نحو تزايد الوعي التكنولوجي." (مكلوان، ٨٦) وبإمكان برامج الكمبيوتر السماح بدعم البنى التي تقف في وجه الديمقراطية وتنافس الأفكار، بالإضافة إلى البنى التي قد تكتسب تحكمًا كاملاً في صور الاتصال الخاصة وتعزل الأصوات المنشقة اللاحقة. ولا يمكن تعريف الإنترنت كوسيلة إعلام سياسية بشكل كامل، نظرًا لافتقاره للسلطة المركزية والتواصل السياسي المشترك. ومحليًا، يمكن للحكومات استخدام الرقابة على أرض الواقع، الأمر الذي أسفرت أولى تجارب تنفيذه عن بعض الفضائح نسبيًا.

وسائل الإعلام المستقلة

يشير مفهوم وسائل الإعلام المستقلة إلى أي شكل من أشكال الوسائط، مثل المذيع أو التلفاز أو الصحف أو الإنترنت، البعيدة عن النفوذ الذي قد تفرضه مصالح الحكومة أو الشركات. ويشتمل هذا المصطلح على تطبيقات متنوعة. وغالبًا ما يستخدم هذا المصطلح كمرادف لمصطلح الإعلام البديل داخل الولايات المتحدة وغيرها من الدول المتقدمة، وذلك للإشارة إلى الوسائط التي تختلف على وجه التحديد عن وسائل الإعلام السائدة. وفيما يتعلق بالتنمية الدولية، يستخدم مصطلح الإعلام المستقل في مجال تنمية وسائل الإعلام الجديدة، وخاصة في الأماكن التي تشهد القليل من التواجد الإعلامي القائم.

الإعلام البديل

في الدول المتقدمة، يشير مصطلح الإعلام البديل إلى وسائل الإعلام التي تمثل بدائل للإعلام التجاري أو المملوك للحكومة. ويذكر مؤيدو الإعلام البديل أن وسائل الإعلام السائدة تتميز بالانحياز. وفي حين يمكننا وصف مصادر الإعلام البديل بالانحياز أيضًا (في بعض الأحيان تفخر لكونها كذلك)، يتجه التحيز لأن يصبح مختلفًا بدرجة كبيرة عن وسائل الإعلام السائدة، ومن ثم "البديلة". وعلى هذا النحو، تتجه صحافة الرأي لأن تصبح أحد مكونات العديد من الوسائل البديلة. ونظرًا لأن مصطلح "بديل" يحمل في طياته دلالات على التهميش الذاتي، تفضل بعض وسائل الإعلام الآن استخدام مصطلح "مستقل" عن مصطلح "بديل".

الإعلام المستقل في الدول المتقدمة

في العديد من الدول المتقدمة، تتمثل وسائل الإعلام الوحيدة المتوفرة، وبخاصة على الصعيد الوطني، في محطات الإذاعة والتلفزيون والصحف المملوكة للحكومة. حتى لو لم تكن الدولة تسيطر على تلك الوسائل بشكل علني، فقد تكون لتلك الوسائل علاقات قوية مع الحكومة أو تفرض الحكومة نفوذها عليها. وفي هذه الحالات، غالبًا ما

يصعب التمييز بين الوسائل المستقلة بالفعل عن تلك الوسائل التي تؤثر عليها الحكومة. فعلى سبيل المثال، قد تتناول إحدى الصحف قضايا الاقتصاد والصحة وغيرها من القضايا بالجودة والتغطية غير المتحيزة، ولكنها في نفس الوقت تظل تتجنب الإساءة للحكومة. ويزيد من تفاقم هذه المشكلة على وجه التحديد قضايا الرقابة الذاتية والرقابة الناعمة وغيرها من تأثيرات الحكومة الخفية.

الرقابة الذاتية

الرقابة الذاتية عبارة عن عمل من أعمال رقابة أعمال الشخص الخاصة أو وضعها في إطار السرية خوفًا على مشاعر الآخرين أو احترامًا لها دون وجود سلطة معينة تمارس الضغط بشكل مباشر على أحدهم للقيام بذلك. وغالبًا ما يمارس الرقابة الذاتية منتجو الأفلام ومخرجو الأفلام والناشرون ومذيعو الأخبار والصحفيون والموسيقيون والكتاب العموميون الآخرون. وفي الدول المتسلطة، قد يلجأ مبتكرو الأعمال الفنية إلى التخلص من المواد التي قد تكون من وجهة نظر حكوماتهم مثيرة للجدل خوفًا من اتجاه الحكومة إلى فرض عقوبات عليهم. وفي الدول التعددية الرأسمالية قد تمارس الرقابة الذاتية أيضًا، ولكن بشكل خاص لتتوافق مع توقعات السوق. فعلى سبيل المثال، قد يتجنب رئيس تحرير إحدى المجلات الدورية بقصد أو دون قصد نشر الموضوعات التي قد تتسبب في إثارة غضب المعلنين أو الشركة الأم التي يتناولها المنشور للحفاظ على مصدر رزقهم.

الرقابة الناعمة

تشير الرقابة الناعمة أو المباشرة إلى ممارسة التأثير على التغطية الإخبارية من خلال تطبيق الضغط المالي على الشركات الإعلامية، الأمر الذي يعتبر أساسيًا بالنسبة لحكومة ما أو لدعم سياساتها أو من خلال مكافأة الصحفيين العاملين بوسائل الإعلام والصحفيين الفرديين الذين تربطهم علاقة ودية مع الحكومة. ويمكن عدم ملاحظة تلك المشكلة بشكل كبير، ومع ذلك قد يكون لها تأثير كبير على عملية الإخبار لوسائل الإعلام، التي يمكن اعتبارها مستقلة بطريقة أخرى.

تطوير وسائل الإعلام المستقلة

تشترك العديد من المنظمات في الجهود المبذولة للمساعدة في تطوير الإعلام الحر والمستقل في الدول من جميع أنحاء العالم. ويمكن أن تتخذ هذه الجهود أشكالاً عديدة، بدءاً من تمويل عملية إنشاء وسيلة إعلام جديدة بالكامل لمساعدة وسيلة الإعلام الحالية في تحسين قدرتها المهنية. ومن الجهود الشائعة التي تهدف إلى تطوير وسائل الإعلام المستقلة: تدريب وتعليم الصحفيين؛ وتحسين البيئة القانونية للإعلام؛ وبذل الجهود لدعم استدامة الوسائل الموجودة؛ والتدريب على الوعي الإعلامي؛ والتدريب على الإعلام الرقمي ودمجه؛ وتطوير البنية التحتية؛ فضلاً عن رصد وتقييم الجهود.

تطوير وسائل الإعلام في مقابل وسائل الإعلام الداعمة للتنمية

تميز بعض المنظمات التنموية والخبراء بين مصطلحي تطوير وسائل الإعلام ووسائل الإعلام الداعمة للتنمية. فيشير مصطلح "تطوير وسائل الإعلام" إلى الجهود المبذولة نحو تحسين الإعلام بطريقة مباشرة في المجتمع من خلال الوسائل المذكورة أعلاه. أما مصطلح "وسائل الإعلام الداعمة للتنمية"، فيشير إلى مزيد من الجهود غير المباشرة المبذولة في استخدام وسائل الإعلام الحالية لنقل الرسائل الخاصة بقضايا التنمية المحددة. وتضم مثل هذه الجهود العديد من المشاريع الخاصة بمجال تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات للتنمية (ICT4D) وفي إطار ذلك، تم تطبيق مفهوم الإعلام الداعم للتنمية على الأهداف التنموية الأخرى، والتي من بينها التعليم والرعاية الصحية والأعمال والإغاثة في حالات الكوارث والفساد وتمكين الأقلية وإشراك المجتمع المحلي.

مؤسسات تطوير الإعلام

في حين يعتبر تطوير قطاع الإعلام نشاطاً شائعاً بالنسبة للعديد من المؤسسات التنموية، هناك عدد قليل من تلك المؤسسات التي تشارك في تطوير الإعلام المباشر

كغايتها الأساسية. وفي الولايات المتحدة، يتمثل منفذو التنمية الإعلامية الثلاثة في شبكة إنترنيوز والمركز الدولي للصحفيين (ICFJ) ومجلس الأبحاث والتبادل الدولي (IREX). هذا بالإضافة إلى منظمات مثل المركز الخاص بمساعدة الإعلام الدولي ومراسلون بلا حدود والمادة ١٩ وغيرها من جهات رصد جهود تنمية الإعلام ودعم حرية الصحافة حول العالم.

وسائل الإعلام المجتمعية

هي أي شكل لوسائل الإعلام التي ينشئها المجتمع ويتحكم فيها، سواء كان مجتمعًا جغرافيًا أو مجتمعًا ذا شخصية اعتبارية أو مصالح. وتعد وسائل الإعلام المجتمعية شكلًا مختلفًا عن وسائل الإعلام التجارية أو وسائل الإعلام التي تديرها الدولة أو الإذاعة العامة.

التعريف والوظيفة

لقد وصفت وسائل الإعلام المجتمعية بمعنى شامل بأنها "اتصالات المجتمع"

يقول الاتحاد الدولي لأبحاث وسائل الإعلام والاتصالات أن وسائل الإعلام المجتمعية "نشأت وتنتشر وتتردد من دائرة المجتمع المدني". فمثلما أنشأ المجتمع المدني وسائل الإعلام تلك، فهناك مكون ضمني لمشاركة المجتمع المدني في إنتاج وسائل الإعلام المجتمعية.

تبرز الدوافع الوليدة لتحليلات وسائل الإعلام المجتمعية من الجهود المبذولة لـ "تطبيق الديمقراطية" في وسائل الإعلام. ويحتاج المجتمع المدني إلى وسائل اتصال.

التأثيرات التجارية

رغم أن هناك حالة من التجنب الواضح للتعامل مع القوى التجارية في إنتاج وسائل الإعلام المجتمعية، فهناك أوقات يفضل فيها القيام ببعض التعاملات السوقية.

وسائل الإعلام الشعبية

وسائل الإعلام الشعبية تهتم بشكل أكثر تخصصًا على وسائل الإعلام التي ينفذها المجتمع المحلي لصالحه وهذا يفيد في جعل المناقشة أكثر دقة وتخصصًا. وهي تركز أساسًا على مجموعة فرعية من المشروعات الإعلامية ضيقة النطاق تهدف إلى التجميع بين الرؤى والمناظير المختلفة لـ "القوانين" التي تندمج بسهولة في علم النفس الاجتماعي.

تعتبر أول محطة تليفزيون عام في الولايات المتحدة من وسائل الإعلام المجتمعية فقد أطلقت عام ١٩٦٨ في مدينة ديل في ولاية فيرجينيا. وكانت تلك المحطة تحت إدارة الغرفة التجارية الناشئة وكانت تقدم برامجها على مدار عامين دون إعلانات. ولقد أغلقت المحطة نتيجة نقص التمويل والمعدات والبنية الأساسية.

وإليكُم مثلاً آخر لوسائل الإعلام المجتمعية الأولى وذلك في مجموعات فيديو الثقافة المضادة في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين.

فيديو فريكس و"فيديو فري أمريكا" و"جلوبال فيليدج" استخدموا تقنيات جديدة لتحقيق أرباح للمصالح المجتمعية. بالإضافة إلى ذلك، أصبحت مؤسسة راديانس، التي أسسها "مايكل شامبرج" و"باول ريان" وغيرهم، تعرف باسم "تلفاز الغوريلا". ولقد كان افتراض إنشاء "تلفاز الغوريلا" أن تشعل جذوة مسار جديد غير عنيف لإنشاء وسائل إعلام تكون بديلاً للبث التليفزيوني. ولقد أصبح هذا النشاط الأولي ممكناً بفضل طرح شركة "سوني"

لفيديو Porta-Pak

الإعلام الشعبي في كندا

لقد لعبت كندا أيضاً دوراً محورياً في تطوير وسائل الإعلام المجتمعية ويعتبر الكثيرون أنها مهد البث المجتمعي. ففي الستينيات من القرن العشرين، أطلق المجلس الوطني السينمائي الكندي مشروعاً أطلق عليه اسم "تحدي التغيير" وكان عبارة عن سلسلة من الأفلام الوثائقية التي تتناول المشكلات الاقتصادية الاجتماعية. ومرة أخرى أحدث فيديو "Porta-Pak" من إنتاج سوني ثورة في كندا أيضاً. ففي عام ١٩٦٨، تمكن صانعا الأفلام "بوني كلين" و"دورثي هونت" من إقناع مشروع "تحدي التغيير" بتناول مشكلات مجتمعية ذات طابع محلي أكثر. وفي هذا العام نفسه، قاما بتدريب أعضاء من "لجنة مواطني سانت جاك" على إنتاج الفيديو. فلقد انتقلت اللجنة إلى أحياء مونترال الفقيرة وقامت بتصوير مشاهد مصورة للقاءات مع الفقراء ثم قدمت الفيديو في اجتماعات عامة لطرحة للمناقشة.

يعود تاريخ إذاعة المجتمع إلى مؤسسات إذاعات الهواة التي تشكلت عام ١٩٠٦. فمن زاوية تاريخية، يعد المثال الإبداعي للإذاعة المجتمع هو إذاعة باسيفيكا المملوكة لـ "لويس هيل". كيه بي إف إيه في بيركلي، كاليفورنيا، بدأت البث عام ١٩٤٩ بعد الحصول على رخصة هيئة الاتصالات الفيدرالية (FCC) لنطاق إف إم. وكانت محطة "باسيفيكا" الأولى تحصل على التمويل من الدعم الذي يقدمه المستمعون والمؤسسات الخيرية. لقد وضع خطاب توكيل إذاعة "باسيفيكا"، التي عبر عنها "هيل" بقوله "الاشتراك في أي نشاط يساهم في إرساء التفاهم بين الأمم وبين الأفراد من جميع الدول والأعراق والسلالات والألوان" إطار عمل حركة وسائل إعلام المجتمع على مدار تطورها التاريخي والتقني.

الإعلام الشعبي في أوروبا

نشأ تلفاز وإذاعة المجتمع في أوروبا "من انتقاد نظام الخدمة العامة الاحتكارية التي كانت تعتبر بعيدة المنال". ولقد بدأت الفترة التجريبية لتعبير وسائل الإعلام المجتمعية في أوروبا في السبعينيات من القرن العشرين بعدما كان الوصول إلى تلفاز أمريكا الشمالية العام قيد التنفيذ. ولذا كانت تعتبر نموذجًا ولكنه بين أيضًا أن بيئات وسائل الإعلام هي بيئات مختلفة بنيويًا.

من الأمثلة القوية على وسائل الإعلام المجتمعية من خارج أمريكا الشمالية وأوروبا إذاعة "عمال المناجم بوليفيا" التي ظهرت في الأربعينيات من القرن العشرين. فلقد أسس اتحاد عمال المناجم المحلي هذه المحطة الإذاعية التي أصبحت وسيلة مهمة للتواصل والمقاومة والتعليم والثقافة.

أشكال وسائل الإعلام المجتمعية

يعد جهاز الراديو أوسع جهاز اتصالات إلكتروني انتشارًا في العالم وتعد إذاعة المجتمع وسيلة فعالة ومنخفضة التكاليف للوصول إلى أفقر المجتمعات في العالم والتواصل معها.

لقد أكد الجدل الأولي حول تقنية الإنترنت أهمية قوة الديمقراطية والمشاركة في السياق العالمي والواقعي. فقد كان يُفترض أن هذه "الديمقراطية الإلكترونية" ستؤثر على العلاقة المباشرة بين التقنية ونمو المجتمع المحلي.

الفصل الثاني

نشأة ونظريات الإعلام السياسي

تأملات في الاعلام السياسي

يتميز العصر الحالي بانه عصر الاعلام والمعلومات، لما يمتلكه من قدرة على التأثير والاقناع، وتشكيل الأفكار، وصياغة الرأي العام، فقد أصبح الاعلام عاملا من عوامل التنمية وعنصراً متزايد الأهمية في التطوير السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

ان التطور الكبير الذي طرأ على وسائل الاعلام والاتصال والتكنولوجيا ساهم في ظهور وسائل اعلام حديث يتميز بعنصر السرعة في نقل الخبر والمعلومة، جعلته يخترق كل الحدود والحواجز بين الدول، ويصل إلى جميع الناس بدون استثناء من خلال استخدام وسائل جديدة مثل الانترنت، الفاكس، والموبايل وبرامجه، وغيرها. وتلك الوسائل الجديدة عززت دور الاعلام عامة وفي المجال السياسي خاصة فقد اتاحت له فرصة نقل الاخبار والمعلومات باسرع وقت وبتكاليف اقل.

لقد شهد العالم في نهايات القرن الماضي وبدايات القرن الحالي تطورات وتحركات سياسية كبيرة مما دفع الدول والحكومات باللجوء إلى مختلف الوسائل والاساليب الاعلامية والاتصالية من اجل تحقيق غاياتها واهدافها وتعميق مبادئها والترويج لايديولوجيتها، وظهر الاعلام السياسي الذي يهتم بالجوانب والقضايا السياسية ويقوم بأحداث التأثير والتغيير في الاراء والافكار والقناعات لدى الجمهور ويساهم في عملية صنع القرار السياسي، وصار يحظى باهتمام الوحدات والتيارات السياسية كونه المعبر عن فكرها وفلسفتها ونشاطاتها وتطورها وقدرتها على التأثير في الجمهور. تطور الاعلام السياسي مع تطور وسائل الاعلام المختلفة اذ اصبح يهتم بكيفية توظيف واستغلال تلك الوسائل في العملية السياسية، اذ يقوم بنقل وتحليل النشاط السياسي واتاحة المجال أمام السياسيين وقادة الرأي للحصول على المعلومات والبيانات، وتلقي ردود أفعال الجمهور نحو سياساتهم وقراراتهم ومواقفهم، مما يساعد في كل العمليات والخطوات المصاحبة لصنع القرار السياسي فضلا عن اعتماد الجمهور عليها في تكوينه واعتقاده واتجاهاته ومواقفه المختلفة إزاء الأحداث والسياسات التي تقع داخل الواقع المحيط به.

وتسعى الدول على اختلاف الأنظمة السياسية القائمة فيها إلى استخدام وسائل الاعلام والاتصال لتحقيق الأهداف الإستراتيجية في حالتها السلام والحرب، وفي مقدمة هذه الأهداف أهدافها السياسية سواء كان ذلك على المستوى الداخلي أو على المستوى الدولي، وقد أصبح الاعلام السياسي عنصراً من العناصر المهمة في تقييم أداء السلطة والقائمين عليها، فالاعلام السياسي يؤدي وظيفة سياسية مهمة، ويعمل على إحداث تأثيرات واقعية ومحتملة على عمل وسلوكيات الآخرين.

وسنحاول هنا ان نوضح مفهوم الاعلام السياسي واهميته ودوره في التوعية السياسية واهم المشكلات التي تواجهه ومحاولة التفعيل الايجابي لدور الاعلام في تنمية الوعي السياسي.

اولاً: نبذة تاريخية حول نشأة الاعلام السياسي

ان ارتباط الاعلام بالسياسة ودوره في المجال السياسي ليس وليد هذا العصر بل يعود إلى عصر السوفسطائيين، الذين استخدموا ادوات الاعلام والاتصال الخاصة في ذلك العصر للتأثير على الرأي العام وبث نوع من الثقافة السياسية لتساهم في حدوث التغيير الذي كانوا يقصدونه، فقد كان ولا زال الساسة والقادة يدعمون كل ابتكار يساعدهم على الاتصال بالجمهور بشكل مباشر، ويساعدهم على التأثير عليهم، لكن بشكل عام يمكننا القول ان الاعلام السياسي كحقل اكايمي وعلمي في العلوم الاعلامية يعد ظاهرة حديثة.

وقد اخذ بالتدرج والتطور في المفهوم نهاية الحرب العالمية الثانية، اذ تبلورت الرغبة في إنشاء علم الاعلام أو الاتصال بشكل مستقل ومن ثم تعزز بتوجهات علمية تمحورت ضمن مدارس علمية تعتمد كل منها على طريقة وإسلوب يختلف عن الآخر، لكنها تشترك جميعاً في الهدف والغاية.

ان أول ذكر للاعلام السياسي كمجال مستقل كان في عام (١٩٥٦) حيث ظهر كتاب بعنوان السلوك السياسي (Political Behavior) يناقش تبادل التأثيرات السياسية بين

الحكومة والمواطن وقد حدثت تطورات مهمة في أعقاب هذه المعادلة شملت المجال التطبيقي البحثي مثل آثار وسائل الاعلام في الانتخابات السياسية، وآثار الدعاية وتحليل اللغة السياسية، ومن بين مجالات البحث الحالية..

- الخطابة السياسية.
- المناظرات السياسية.
- التنشئة السياسية.
- الحملات الانتخابية.
- الحركات السياسية.
- العلاقة بين الحكومة ووسائل الاعلام...الخ.

وبعد ذلك ظهرت دراسات الاقتدار السياسي بجامعة ميتشغان على يد (كامبل) وزملائه الذي يعد أول من عرّف مفهوم الاقتدار السياسي بأنه (إحساس بالفعل السياسي الذي يمكن أن يكون له تأثير على العمليات السياسية، ويحمل التعريف إمكانية حدوث التغيير الاجتماعي والسياسي، وأن المواطن الفرد يمكن أن يشارك في هذا التغيير)، وهذا ما يفترض وجوده بالمتقنين وهم عقل الأمة، ومنه تحولت الدراسات من الجوانب الاقناعية إلى الجوانب المعرفية.

إن النمط الاعلامي لا يحدث في معزل عن المؤثرات الثقافية الأخرى والتي لها أثر كبير في بلورة الظاهرة الاعلامية، حيث ان مدلول الاعلام يتفاعل فيه طرفان، هما المرسل والمستقبل لتصبح قاعدة معرفية مهمة.

ففي البداية كان الاعلام يتحدد في اعلام واتصال الحكومات مع الهيئة والناحية ثم تحدد في تبادل الحوار السياسي بين الأغلبية الحاكمة والمعارضة، بعد ذلك توسع المجال الى دراسة دور وسائل الإعلام في صناعة الرأي العام، ثم الاهتمام باستطلاعات الرأي على الحياة السياسية، وأصبح الاعلام السياسي في الوقت الحاضر يشمل

دراسة الاعلام والاتصال في الحياة السياسية بمعناها العام الذي يضم:

- وسائل الإعلام.
- استطلاعات الرأي.
- التسويق السياسي.
- الدعاية مع الاهتمام بشكل خاص بالفترات الانتخابية.

ثانيا: تعريف الاعلام السياسي (Political Media)

يعتبر مصطلح الاعلام السياسي مُطاً جديداً من أنماط الاعلام، يحتاج للكثير من الاجتهادات، لذلك فقد تباين الخبراء والباحثين في مجال الاعلام والسياسة من ايجاد تعريف محدد ومتفق عليه.

لكننا من خلال ما سبق ومن خلال قراءتنا، يمكننا تعريف الاعلام السياسي بأنه أحد فروع الإعلام الذي يتميز بقدرته على التأثير والتغيير والاقناع ويهتم بتغطية الموضوعات السياسية ويسعى لتحقيق أهداف سياسية ويعتبر من الأدوات الفعالة والرئيسية التي يعتمد عليها أي نظام سياسي حيث يستخدمه في تحقيق استراتيجياته المختلفة.

ثالثاً: مفاهيم أساسية مهمة في دراسة الاعلام السياسي من اجل التوصل إلى مفهوم أوضح وأشمل للاعلام السياسي وجدنا انه من الضروري توضيح عدد من المفاهيم ذات الصلة بالاعلام السياسي، واحيانا تكون احدى وسائله أو سببا في ظهوره ومن اهمها:

١. البيئة السياسية: Political Environment يقصد بالبيئة في مفهومها العام ذلك الوسط والمجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان ويتأثر به ويؤثر فيه، وقد يتسع هذا الوسط ليشمل منطقة كبيرة جداً، وقد يضيق فلا يتضمن سوى مساحة بسيطة لا تتعدى رقعة المنزل الذي يسكنه، فالبيئة كل ما تخبرنا به حواسنا وهي كل شيء يحيط بالإنسان، ويرى علماء الاجتماع أن مفهوم البيئة لا يقف

عند البعد الطبيعي فقط، بل يتضمن أيضا البعد الاجتماعي والسياسي، فالبيئة بالمعنى المحدود تشير إلى ذلك المحيط الطبيعي الحيوي الذي يدعم الإنسان والكائنات الحية الأخرى من أجل البقاء، فهي بهذا المعنى تتضمن الجانب العضوي (Organic) الذي يشمل مختلف الكائنات الحية، والجانب غير العضوي (Inorganic) الذي يتضمن المناخ والتربة والضغط، أما البيئة بالمعنى الواسع تشير إلى المحيط الاجتماعي الذي يتضمن النظم الاجتماعية والايولوجية.

وتعتبر البيئة السياسية نظاما ديناميكياً معقداً ذو مكونات متشابكة ومتعددة، وهي إحدى وسائل الاعلام السياسي من خلال التأثير المعرفي على الاتصال الشخصي وانعكاساته على السلوك السياسي للفرد، فالأحداث والازمات السياسية تخلق بيئة فاعلة ومؤثرة على ممارسة وسلوك الافراد وتساعدهم على المشاركة السياسية مع الأحداث والأزمات نتيجة متابعتهم للأخبار والأحداث والتحليلات عبر وسائل الإعلام المتنوعة . وكذلك يكتسب الناخبون معلوماتهم السياسية من بيئتهم المحيطة بهم في الحملات الانتخابية من خلال الاعلام السياسي، عن طريق انتشار الرسائل الإعلامية التي تلبي الرغبات الذاتية.

ان جمهور الاعلام السياسي هو جمهور مسؤول عن اختيار ما يناسبه من وسائل الإعلام المتنافسة على مصادر الاشباع المعلوماتي التي تحقق له اكبر قدر ممكن من الاشباع لتحقيق أهدافه ومتطلباته . وتشكل وسائل الإعلام انعكاساً للبيئة السياسية ومرآة للصراعات والتفاعلات السياسية، وبدون هذه الوسائل لا يستطيع أفراد المجتمع خارج الحلقة السياسية الاطلاع على مجريات الأحداث السياسية، فالبيئة السياسية تُبنى من قبل وسائل الإعلام، وفي الوقت نفسه هذه البيئة السياسية هي التي تحكم طبيعة عمل ووظائف وسائل الإعلام خاصة في الوظيفة السياسية منها، من خلال مجموعة التشريعات القانونية التي تنظم نشاطها.

٢. الدعاية السياسية: Political Propaganda تعد الدعاية السياسية إحدى الظواهر الهامة والبارزة في عالم اليوم، حيث تبرز أهميتها في أنها تسهم في تغيير مواقف واتجاهات الجماعات والأفراد والتأثير فيها على نحو يتفق مع مصالح الخط السياسي والفكري الذي تبناه الجماعة السياسية لتحقيق أهدافها، والدعاية السياسية هي أساساً عملية إثارة للعواطف بقصد الوصول إلى تشويش التابع المنطقي وهي تفترض نوعاً من أنواع التلاعب الذي يجب إن يخضع لفلسفة معينة وتهدف الدعاية إلى توليد المواقف والتصرفات لدى الجماعات والأفراد الذين تتوجه اليهم وتعديل الإدراك الخاص بهم وأحكامهم التقييمية، بل تهدف إلى جعل هذه الجماعات تتقبل كل الأفعال التي يقوم بها السياسي القائم بهذه الدعاية وكما تقوم على تلقين الأفراد عدداً من النظريات والمبادئ السياسية التي تحرك حماسهم للتعاون والتأييد وبذل الجهود المنسقة من أجل خطة العمل المستهدفة مما يكفل التأثير على الرأي العام وصنعه، ثم لا يلبث هذا الدور الدعائي أن يصير مرجعاً ودليلاً ويلعب دوراً هاماً وأساسياً في النشاط السياسي المؤدي إلى زيادة شعبية فرد أو جماعة معينة.

٣. الإعلان السياسي: Political Declaration يعرف الإعلان السياسي بأنه العملية الاتصالية التي يدفع فيها المعلن ثمناً مقابل ما يتاح له من فرصة في وسيلة إعلامية ليعرض فيها على الجماهير رسائل سياسية ذات هدف محدد، من أجل التأثير على مواقفهم وأفكارهم وسلوكهم، ويعد الإعلان السياسي أكثر أنواع الإعلام السياسي تأثيراً على الشعوب والمجتمعات، حيث وظف كثير من القادة والساسة وسائط الإعلام لخدمة أهدافهم وتحقيق غاياتهم . ولذلك يُتهم هذا النوع من الإعلام بأنه السبب المباشر في كثير من المشكلات التي عانت منها الشعوب، مثل ظهور النازية التي نجحت في توظيف الإعلان السياسي والدعاية السياسية لخداع الجماهير، ومثل تسويق المرشحين كما تُسوّق الأفلام والمسلسلات التلفزيونية، والمبالغة في إعطائهم صفات لا تمت إلى الحقيقة بصلة.

٤. المشاركة السياسية: هي تلك الأنشطة السياسية التي يساهم بمقتضاها أفراد المجتمع في اختيار حكاهم وفي صياغة السياسة العامة بشكل مباشر أو غير مباشر، فهي تعني اشتراك الفرد في مختلف مستويات النظام السياسي، فالمشاركة السياسية للمواطنين تشكل النشاطات السياسية المباشرة (الأولية) والنشاطات غير المباشرة (الثانوية)، ومن أمثلة المشاركة في النشاطات السياسية المباشرة (تقلد منصب سياسي، عضوية الحزب أو الترشيح في الانتخابات، التصويت، مناقشة الأمور العامة، الاشتراك في المظاهرات... الخ)، أما النشاطات غير المباشرة فهي تمثل المعرفة بالمشاكل العامة والعضوية في هيئات التطور وبعض أشكال العمل في الجماعات الأولية.

إن المشاركة السياسية تعني في أوسع معانيها، حق المواطن في أن يؤدي دوراً معيناً في عملية صنع القرارات السياسية.

٥. التسويق السياسي: هو عملية متداخلة إذاً يمثل مفارقة وتناقضاً، ويعتبر في العصر الحالي بمنزلة الدعاية السياسية في الإعلام لكونه النوع الأكثر فعالية وتوجه إليه عادة تهمة إهماله ومساسه للجانب الأخلاقي، ولكنه يوظف وعوداً كاذبة في كثير من الأحيان تتجاوز حجم وإمكانات المرشح السياسي، ولذلك يمكن الربط بين مختلف أدوات الإعلام السياسي والتسويق السياسي بشكل يعزز عملية التنمية السياسية من المنظور المؤسسي النظامي المتمثل في صياغة الجانب الملموس المتمثل في صياغة برامج متكاملة تتجاوز الماضي، وتوفير ظروف اقتصادية واجتماعية جديدة وتوظيف الروابط وتدعيم حركة المجتمع وتحويلها إلى آليات للاتصال والتسويق السياسي، ومن المعلوم أن لجميع الأحزاب السياسية تواجد في المجتمع المدني سواء كان في شكل تنظيمات طلابية أو نقابات أو جمعيات ذات طابع خدمي، حيث يوظف خطاب هذه الجمعيات لتدعيم عملية التسويق والإعلام السياسي للبرامج التي يهدف إليها الحزب، وتسويقها وذلك لإن توفير الوسائل السلمية للإعلام يسمح للموظفين والأفراد بالتأثير في مضمون القرارات الجماعية المقترحة التي تحقق مصالحهم المشروعة وتؤمن حقوقهم الاجتماعية والبيئية والقانونية والسياسية.

رابعاً: العلاقة بين الاعلام السياسي والنظام السياسي: (systemPolitical)
هناك علاقة وطيدة بين الاعلام السياسي والعملية السياسية بصفة عامة، فوسائل الاعلام تعتبر حلقة الوصل بين الجماهير والنظام الحاكم صانع القرارات، وهي التي تسهم بدرجة كبيرة في نجاح أو فشل النظام السياسي من خلال الوظائف والانشطة السياسية التي يقوم بها.

ان الخبراء والباحثين في مجال الاعلام والسياسة يؤكدون على ان العملية الاتصالية تحتوي على أربعة عوامل هي:

- مصدر
- قناة
- مستمع
- رسالة

فوضع المصدر المركز الذي يشغله هو الذي يحدد العلاقة بين نظام الاعلام والنظام السياسي، ومحتوى الرسالة هو الذي يحدد الأمر، والقناة المستخدمة هي التي تنتج العلاقة بين النظامين.

خامساً: نظريات الاعلام السياسي

لقد اشار الخبراء والباحثون في مجال الاعلام والسياسة إلى ان بعض النظريات السياسية هي الأساس الذي تُبنى عليه نظريات الاعلام السياسي مثل:

نظرية السلطة:

ظهرت هذه النظرية في إنجلترا في القرن السادس عشر، وتعتمد على نظريات أفلاطون وميكافيلي، وترى أن الشعب غير جدير على أن يتحمل المسؤولية أو السلطة فهي ملك للحاكم أو السلطة التي يشكلها. وتعمل هذه النظرية على الدفاع عن السلطة، ويتم احتكار تصاريح وسائل الإعلام، حيث تقوم الحكومة على مراقبة ما

يتم نشره، كما يحظر على وسائل الإعلام نقد السلطة الحاكمة والوزراء وموظفي الحكومة، وبالرغم من السماح للقطاع الخاص بإصدار المجلات إلا أنه ينبغي أن تظل وسائل الإعلام خاضعة للسلطة الحاكمة.

نظرية المشاركة الديمقراطية:

هي من النظريات الحديثة والأكثر تحديدا بالنسبة لنظريات الإعلام، فقد برزت هذه النظرية من واقع الخبرة العملية كاتجاه إيجابي نحو ضرورة وجود أشكال جديدة في تنظيم وسائل الإعلام، فالنظرية قامت كرد فعل مضاد للطابع التجاري والاحتكاري لوسائل الإعلام المملوكة ملكية خاصة، كما أن هذه النظرية قامت ردا على مركزية مؤسسات الإذاعة العامة التي قامت على معيار المسؤولية الاجتماعية وتنتشر بشكل خاص في الدول الرأسمالية.

ويُعبّر مُصطلح (المشاركة الديمقراطية) عن معنى التحرر من وهم الأحزاب والنظام البرلماني الديمقراطي في المجتمعات الغربية، والذي أصبح مسيطرا على الساحة ومتجاهلا الاقليات والقوى الضعيفة في هذه المجتمعات، وتنطوي هذه النظرية على أفكار معادية لنظرية المجتمع الجماهيري الذي يتسم بالتنظيم المعقد والمركزية الشديدة والذي فشل في توفير فرص عاجلة للأفراد والاقليات في التعبير عن اهتماماتها ومشكلاتها.

وترى هذه النظرية ان نظرية الصحافة الحرة (نظرية الحرية) فاشلة بسبب خضوعها لاعتبارات السوق التي تجردها أو تفرغها من محتواها، وترى ان نظرية المسؤولية الاجتماعية غير ملائمة بسبب ارتباطها بمركزية الدولة، ومن منظور نظرية المشاركة الديمقراطية فإن التنظيم الذاتي لوسائل الإعلام لم يمنع ظهور مؤسسات إعلامية تمارس سيطرتها من مراكز قوى في المجتمع، وفشلت في مهمتها وهي تلبية الاحتياجات الناشئة من الخبرة اليومية للمواطنين أو الملتقين لوسائل الإعلام.

وهكذا فإن النقطة الأساسية في هذه النظرية تكمن في الاحتياجات والمصالح والآمال للجمهور الذي يستقبل وسائل الإعلام، وتركز النظرية على اختيار وتقديم المعلومات المناسبة وحق المواطن في استخدام وسائل الاتصال من أجل التفاعل والمشاركة على نطاق صغير في منطقته ومجتمعه، وترفض هذه النظرية سيطرة الحكومة على وسائل الإعلام، ولكنها تشجع التعددية والمحلية والتفاعل بين المرسل والمستقبل والاتصال الأفقي الذي يشمل كل مسؤوليات المجتمع.

ووسائل الإعلام التي تقوم في ظل هذه النظرية سوف تهتم أكثر بالحياة الاجتماعية وتخضع للسيطرة المباشرة من جمهورها، وتعطي فرصا للمشاركة على أسس يحددها الجمهور بدلا من المسيطرين عليها.

نظرية الحرية:

ظهرت في بريطانيا عام ١٦٨٨م ثم انتشرت إلى أوروبا وأمريكا، وترى هذه النظرية أن الفرد يجب أن يكون حرا في نشر ما يعتقد انه صحيح عبر وسائل الإعلام، وترفض هذه النظرية الرقابة أو مصادرة الفكر.

ومن أهداف نظرية الحرية تحقيق أكبر قدر من الربح المادي من خلال الإعلان والترفيه والدعاية، لكن الهدف الأساسي لوجودها هو مراقبة الحكومة وأنشطتها المختلفة من أجل كشف العيوب والفساد وغيرها من الأمور.

وتتميز هذه النظرية بأن وسائل الإعلام وسيلة تراقب أعمال وممارسات أصحاب النفوذ والقوة في المجتمع، وتدعو هذه النظرية إلى فتح المجال لتداول المعلومات بين الناس بدون قيود من خلال جمع ونشر وإذاعة هذه المعلومات عبر وسائل الإعلام كحق مشروع للجميع.

نظرية المسؤولية الاجتماعية:

ظهرت نظرية المسؤولية الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، وتقوم هذه النظرية على ممارسة العملية الإعلامية بحرية قائمة

على المسؤولية الاجتماعية، وظهرت القواعد والقوانين التي تجعل الرأي العام رقيقاً على آداب المهنة وذلك بعد أن استخدمت وسائل الإعلام في الإثارة والخوض في أخبار الجنس والجريمة مما أدى إلى إساءة الحرية أو مفهوم الحرية . ويرى أصحاب هذه النظرية أن الحرية حق وواجب ومسؤولية في نفس الوقت، ومن هنا يجب أن تقبل وسائل الإعلام القيام بالتزامات معينة تجاه المجتمع، ويمكنها القيام بهذه الالتزامات من خلال وضع مستويات أو معايير مهنية للإعلام مثل الصدق والموضوعية والتوازن والدقة . ونلاحظ أن هذه المعايير تفتقد إليها نظرية الحرية، ويجب على وسائل الإعلام في إطار قبولها لهذه الالتزامات أن تتولى تنظيم أمورها ذاتياً في إطار القانون والمؤسسات القائمة، ويجب أن تكون وسائل الإعلام تعددية تعكس تنوع الآراء والأفكار في المجتمع من خلال إتاحة الفرصة للجميع من خلال النشر والعرض، كما أن للجمهور العام الحق في أن يتوقع من وسائل الإعلام مستويات أداء عليا، وأن التدخل في شؤون وسائل الإعلام يمكن أن يكون مبرره تحقيق هذه المصلحة العامة، أضف إلى ذلك أن الإعلاميين في وسائل الإعلام يجب أن يكونوا مسؤولين أمام المجتمع بالإضافة إلى مسؤولياتهم أمام مؤسساتهم الإعلامية.

وتهدف هذه النظرية إلى رفع مستوى التصادم إلى مستوى النقاش الموضوعي البعيد عن الانفعال، كما تهدف هذه النظرية إلى الإعلام والترفيه والحصول على الربح إلى جانب الأهداف الاجتماعية الأخرى.

النظرية الماركسية (الاشتراكية)

إن الأفكار الرئيسية لهذه النظرية التي وضع أساسها ماركس وإنجلوس ووضعت قواعد تطبيقها لينين واستالين يمكن إيجازها في أن الطبقة العاملة هي التي تمتلك سلطة في أي مجتمع اشتراكي، وحتى تحتفظ هذه الطبقة بالسلطة والقوة فإنها لابد أن تسيطر على وسائل الإنتاج الفكري التي يشكل الإعلام الجزء الأكبر منها، لهذا يجب أن تخضع وسائل الإعلام لسيطرة وكلاء لهذه الطبقة العاملة وهم في الأساس الحزب الشيوعي.

ان المجتمعات الاشتراكية تفترض أنها طبقات لا طبقية، وبالتالي لا وجود لصراع الطبقات، لذلك لا ينبغي ان تنشأ وسائل الإعلام على أساس التعبير عن مصالح متعارضة حتى لا ينفذ الخلاف ويشكل خطورة على المجتمع.

النظرية التنموية:

ظهرت النظرية التنموية في عقد الثمانينيات، وتقوم على الأفكار والآراء التي وردت في تقرير لجنة (واك برايل) حول مشكلات الاتصال في العالم الثالث فهذه النظرية تخرج عن نطاق بُعْدَي الرقابة والحرية كأساس لتصنيف الأنظمة الإعلامية، فالأوضاع المتشابهة في دول العالم الثالث تحد من إمكانية تطبيق نظريات الإعلام التي أشرنا إليها في السابق وذلك لغياب العوامل الأساسية للاتصال كالمهارات المهنية والمواد الثقافية والجمهور المتاح.

ان المبادئ والأفكار التي تضمنت هذه النظرية تعتبر هامة ومفيدة لدول العالم النامي لأنها تعارض التبعية وسياسة الهيمنة الخارجية، كما ان هذه المبادئ تعمل على تأكيد الهوية الوطنية والسيادة القومية والخصوصية الثقافية للمجتمعات وعلى الرغم من أن هذه النظرية لا تسمح إلا بقدر قليل من الديمقراطية حسب الظروف السائدة إلا أنها في نفس الوقت تفرض التعاون وتدعو إلى تظافر الجهود بين مختلف القطاعات لتحقيق الأهداف التنموية، وتكتسب النظرية التنموية وجودها المستقل من نظريات الإعلام الأخرى من اعترافها وقبولها للتنمية الشاملة والتغيير الاجتماعي. مما سبق يمكننا ان نستنتج بأن توجد ثلاث نظريات للإعلام السياسي هي:

النظريات المتعلقة بالجمهور:

يرتبط هذا النوع من النظريات بالجمهور المستخدم للمواد الإعلامية ويقوم هذا النوع من النظريات على أساس أن الجمهور يستخدم وسائل الإعلام بسبب دوافع نفسية أو اجتماعية . ومن أبرز هذه النظريات ما يلي:

أ. نظرية الاستخدامات والاشباع.

ب. نظرية المعالجة المعلوماتية.

النظريات المتعلقة بالقائم بالاتصال: تصنف بعض النظريات على أنها مرتبطة بالمرسل أو القائم بالاتصال، وأهمها:

أ. نظرية الغرس الثقافي.

ب. نظرية ترتيب الأولويات.

النظريات المتعلقة بنوع التأثير الإعلامي الذي تحدثه وسائل الإعلام في الجمهور:

أ. التأثير المباشر قصير المدى

ب. نظريات التأثير التراكمي طويل المدى

سادسا: أهداف الاعلام السياسي:

للاعلام السياسي أهداف وغايات محددة ومرسومة، فالسياسي يتحدث إلى الجمهور من خلال وسائل الإعلام لفرض ممارسة السلطة وكذلك الافراد الذي يشاركون في العملية السياسية من خلال وسائل الإعلام من أجل التعبير عن آرائهم تجاه قضاياهم، وبالتالي فإن تدفق المعلومات من وسائل الإعلام إلى قادة الرأي في المجتمع يعتبر هو الوسيلة المثلى للاعلام السياسي نقلاً لتلك المعلومات التي تبثها وسائل الإعلام بطريقة التحليل والتفسير وتقديم وجهات النظر المختلفة لتلك المعلومات والرسائل الإعلامية.

ويهدف الاعلام السياسي بالدرجة الأساس إلى التأثير في الرأي العام ويستهدف الاعلام السياسي تحقيق اهداف معينة على مستويين الوطني والدولي:

١- أهداف الاعلام السياسي على المستوى الوطني:

● التأثير في الاتجاهات.

- الرقابة على الحكومة.
- التثقيف السياسي.
- التسويق السياسي.
- تدعيم الولاء والتأييد بين المرسل والمستقبل، وترسيخ الشعور بالولاء لبلورة ثقافة قومية.
- مواجهة الدعاية الخارجية، والعمل على توافق الاراء والسلوك داخل المجتمع

٢- أهداف الاعلام السياسي على المستوى الدولي:

- جمع المعلومات الكافية عن البيئة السياسية والاجتماعية والاعلامية داخل الدولة والدول المراد التوجه اليها أو العمل فيها.
- دعم السياسات الخارجية للدول أو قضاياها على الصعيد الدولي.
- خلق صور وانطباعات ايجابية عن الدولة ومؤسساتها عند المتلقين في دول أخرى وتقوم الاذاعات والقنوات التلفزيونية الموجهة إلى الخارج بهذا الدور عادة.
- يعنى بدراسة سياسات الاعلام من دولة لآخرى اذ ان لكل دولة سياستها الخاصة بها في مجال الاعلام والاتصال.
- تحقيق نوع من التداخل الحضاري للدولة أو لمجموعة الدول القائمة بالاتصال داخل الدولة ودعم ثقافة الدولة اوالمنظمة الإقليمية التي تمثل مجموعة الدول.

الفصل الثالث

انواع ووظائف الإعلام السياسى

أنواع الاعلام السياسي

١-الاعلام السياسي التضليلي:(Misleading Political Media)

تنصب غايته على صرف الانتباه عن عنصر الحقيقة في موضوع معين أو اخفائها عن الجمهور المستقبل ووسائله هي التلوين والرمز أو التقويم أو الاجتزاء في نقل المعلومات عن الحدث وعن سياسة معينة في ظرف زمني محدد وهذا النوع من الاعلام ليس اعلاماً دائماً بل هو اعلام مناسباتي تمليه الحاجات والظروف أكثر من كونه منهجاً ثابتاً في اية سياسة للاعلام الدولي، وغالباً ما تبرز الحاجة اليه اوقات الازمات السياسية وفي اوقات الحروب الداخلية أو الدولية.

٢. الإعلام السياسي الموضوعي:(Objective Political Media)

وفيه يقوم المرسل ببث المعلومات عبر وسائل الإعلام المختلفة عن حدث معين بحيث يتركز اهتمامه على إيجاد الحقائق كما هي دون التضليل بالتضخيم أو التحريف أو التشويه وهناك علاقة تناسبية بين الإعلام الموضوعي وطبيعة الحدث تؤثر بطريقة أو أخرى على إبراز الحقيقة طبقاً لرؤية القائم بالاتصال واثّر ذلك على مصالحه.

وسائل الاعلام السياسي

يتخذ الاعلام السياسي وسائل وأشكالا متعددة قد تكون مباشرة أو غير مباشرة، ثنائية او فورية، واحيانا تأتي مجتمعة كلها، وتشمل وسائل الاعلام السياسي الوسائل الشفهية (كأنتشار الخبر بين المواطنين) والوسائل المقروءة وهي (الصحف والمجلات والكتب والنشرات والرسائل والملصقات والفاكس والانترنت) والوسائل المرئية الخارجية وهي (الصور والملصقات واعلانات الشوارع) الوسائل السمعية وهي (الشرطة والاسطوانات والهواتف) والوسائل السمعية البصرية وهي (التلفزيون والسينما والفيديو والكومبيوتر) والوسائل المنظماتية (أحزاب، جماعات الضغط....)، كما قد ساعدت وبشكل كبير ادوات التكنولوجيا الشخصية كالموبايل والبريد الالكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي وغيرها على إعادة الوسائل الشخصية الشفهية في نقل

الاخبار والدعايات بين الناس واصبح الفرد قادرا بحكم التكنولوجيا على بث الاخبار أو الدعايات التي يراها مناسبة او تحقق له غرضا ما.

ويعتبر التلفزيون أكثر الوسائل التي يُعتمد عليها في تحقيق أهداف الإعلام السياسي باعتباره وسيلة مسموعة مرئية أكثر جاذبية وتأثيرا وشعبية مقارنة بالوسائل الاعلامية الأخرى ويعتمد عليه في طرح القضايا السياسية الهامة، كما ويتخذ الاعلام السياسي مجموعة من الاساليب من اجل السيطرة والتحكم والتأثير في سلوك الجمهور لتحقيق اهدافه ومن اهم تلك الاساليب هي المؤتمرات، الندوات، المحاضرات، المعارض، الملصقات، الزيارات.

وظائف الاعلام السياسي

يقوم الاعلام السياسي بوظائف عديدة من اهمها:

١. وظيفة التنشئة السياسية:

يقصد بالتنشئة السياسية كيفية نقل الثقافة السياسية للمجتمع من جيل إلى آخر، وهي تهتم بشخصية الفرد وتطويرها وفق نموذج معياري مسبق لتعميق التوجهات والقيم السياسية الشائعة والمستقرة في المجتمع كما تسعى إلى تنمية مدركات الفرد وتعزيز قدراته السياسية بحيث يستطيع التعبير عن ذاته من خلال سلوكيات ينتجها في الحياة السياسية، خاصة إذا كان النظام السياسي غير رشيد، ومنه امكانية خلق مجتمع مدني ويأتي ذلك من خلال قيام الاعلام السياسي بأكساب المواطن تفاصيل الحياة السياسية والقضايا الخاصة بالحملة الانتخابية والمرشحين وكل ما يخص النسق السياسي.

٢. وظيفة التثقيف السياسي:

لا ينتج الوعي في حالة مصاغة ومتبلورة نهائيا بل يتبلور وفق ديناميكية خاصة تتجلى فيها عوامل داخلية وخارجية، ويبنى الوعي السياسي على تراكم التصورات والآراء والمفاهيم المكتسبة من قبل، ويساهم الاعلام السياسي في تثبيت البعض منها وتطور البعض الآخر، وتصنيف أفكار وآراء جديدة من اجل دعم الوعي الاجتماعي بما

فيه السياسي ليؤثر بفعالية في الوجود الاجتماعي من خلال تزويد الأفراد بالمعارف والمفاهيم التي تتعلق بالأمور السياسية التي يحتاجها لبناء شخصيته السياسية وحركة السياسة في المجتمع.

٣. وظيفة التعبئة السياسية:

يؤدي الاعلام السياسي دورا كبيرا في التعبئة السياسية، فهو يقوم بتهيئة الأفراد نفسيا ومعنويا وذهنيا لإستقبال أحداث سياسية متوقعة مثلا يسبق بعض نتائج الانتخابات غير المتوقعة التي لا يستحسنها المواطن، فهو يقوم بالتمهيد لتقبل شيء معين في إطار سياسات واستراتيجيات مرسومة من قبل، وعادة ماتكون هذه الوظيفة تسبق المواعيد الانتخابية بأنواعها.

٤. وظيفة التطوير السياسي للأفراد:

يلعب الاعلام السياسي دورا هاما في التطوير السياسي ونشر الثقافة السياسية عن طريق تقديم المواد والبرامج الاعلامية التي تحتوي إما مواد إخبارية، تعليمية، ترفيهية وبوسائله المختلفة كالصحافة، الإذاعة، التلفزيون الانترنت ولما هذه الوسائل من دورا كبيرا في التأثير في ملايين الناس، فوسائل الإعلام السياسي تمتلك قوة كبيرة للتأثير في الرأي العام وتوجيهه من خلال تحديد نمط سلوكه في المجتمع هذا من جهة، أما من جهة ثانية فإنها في غاية الفعالية من خلال مشاركتها في المعارك السياسية والانتخابية.

٥. وظيفة الاعلام:

تعتبر وظيفة الاعلام من الوظائف المهمة التي يقوم بها الاعلام السياسي والتي تعد احد العناصر المؤثرة في المشاركة السياسية والثقافة السياسية.

٦. وظيفة المساندة السياسية:

يقوم الاعلام السياسي بتوظيف وسائل الاعلام لتحقيق الاستقرار السياسي والشرعية السياسية.

التفسيرات المعرفية

لقد تم اقتراح ثلاث آليات معرفية يمكن الاعتماد عليها في شرح مفهوم التأثير العدائي لوسائل الإعلام:

يشير مفهوم الاستدعاء الانتقائي إلى الذاكرة وعملية استرجاعها. ففي حالات التأثير العدائي لوسائل الإعلام، يتجه المنحازون إلى تذكر الأجزاء التي ثبت عدم صحتها في رسالة ما عن تلك الأجزاء التي تدعم موقفهم، لتختلف بذلك عن مفهوم تأثير السلبيات. وقد لاحظ فالون وزملاؤه أن الاستدعاء الانتقائي مختلف على طول الخطوط المنحازة حتى بالنسبة للمعايير البسيطة والموضوعية كعدد المراجع الخاصة بموضوع معين. ومع ذلك، وثقت العديد من دراسات التأثير العدائي لوسائل الإعلام، حتى في الحالات التي يكون فيها الاستدعاء الانتقائي إيجابياً بدلاً من كونه سلبياً.

يشير مفهوم الإدراك الانتقائي إلى العملية التي من خلالها يتصور الأفراد ما يريدون تصوره في الرسائل الإعلامية مع تجاهل وجهات النظر المعارضة. ففي حالات التأثير العدائي لوسائل الإعلام، يميل المنحازون بشكل متزايد لتفسير جوانب رسالة ما على أنها سلبية - أو عدائية - على عكس التصنيفات التي يتبناها غير المتحيزين. وبعبارة أخرى، يمكن القول إن الإدراك الانتقائي يعد شكلاً من أشكال التحيز، حيث إننا نقوم بتفسير المعلومات بطريقة تتعارض مع قيمنا ومعتقداتنا القائمة.

يشير مفهوم تفسير المعايير المختلفة أو الاستدلال المدفوع إلى مدى صحة الحجج التي يتم الاستدلال بها. ويشير هذا إلى الانحياز التأكيدى الذي يتم نقله إلى المستوى التالي. إنه يقود الأشخاص إلى التأكيد على ما يعتقدونه بالفعل، مع تجاهل البيانات التي تتعارض مع معتقداتهم. بل إنه يدفع الأشخاص أيضاً إلى تطوير المسوغات المدروسة لتبرير المعتقدات القائمة، والتي أثبت المنطق والأدلة عدم صحتها. وفي نفس الوقت، يستجيب الاستدلال المدفوع للدليل المعارض بطريقة دفاعية، مكذباً بذلك تلك الأدلة أو مصادرها التي لا تستند إلى مبرر منطقي أو استدلالى. ويبدو أن علماء الاجتماع افترضوا أن الاستدلال المدفوع تحركه الرغبة في تجنب التنافر

الإدراكي. ويشير إلى أن السبب وراء كون المنحازين معرّضين بشكل كبير للغاية لرؤية رسائل غير متحيزة في ضوء عدائي يكمن في قوة الحجة المناسبة التي بنوها في أذهانهم بمرور الوقت. فبدلاً من النظر إلى الانحياز التأكيدي باعتباره قوة معارضة للتأثير العدائي لوسائل الإعلام، ينظر إليه مفهوم تفسير المعايير المختلفة باعتباره قوة مساهمة. وكما أشار فالون وآخرون في دراسة إبداعية:

"إن المنحازين الذين اعتادوا على معالجة الحقائق والحجج باستمرار في ضوء تصوراتهم المسبقة وتحيزاتهم الخاصة يلتزمون بالاعتقاد أن مبدأ رجحان الأدلة الموثوقة ذا الصلة يدعم وجهة نظرهم. ووفقاً لذلك، وإلى الحد الذي يبدو فيه نموذجاً صغيراً من الأدلة والحجج التي تظهر في أحد العروض الإعلامية غير ممثّل لهذا "الجمع" الكبير من المعلومات، فسيتهم الملاحظون بالتحيز في تناول هذا العرض، ومن المرجح أن نستدل على العدائية والتحيز الممارس من جانب أولئك المسؤولين عن طرح هذا العرض".

ومن المهم أن نلاحظ أن هذه المعايير تسمح باتخاذ إجراءات محددة خارج إطار التعميمات الشخصية المتعلقة بالتغطية الإعلامية ككل، مثل ما يمكن التعبير عنه بالآتي "أعتقد أن الأخبار منحازة بشكل عام ضد هذا الجانب من القضية". ويشير البحث إلى أن التأثير العدائي لوسائل الإعلام لا يمثل اختلافاً في الرأي فحسب، بل إنه يمثل كذلك اختلافاً في الإدراك (الإدراك الانتقائي)

عوامل المصدر

قد يكون لخصائص مصدر الرسالة تأثير على التأثير العدائي لوسائل الإعلام. ويعتد المصدر الذي ينظر إليه المنحاز على أنه متوائم (عادةً بسبب أيديولوجية مقبولة أو قرب جغرافي من المجموعة) أقل احتمالية لإثارة التأثير العدائي لوسائل الإعلام عن المصدر غير المرغوب فيه أو المنفصل جغرافياً. وفي العديد من الدراسات، أشار ألبرت سي غونتر وزملاؤه إلى أن قدرة وسائل الإعلام في الوصول إلى جمهور عريض

هو ما يتسبب في إثارة التأثير العدائي لوسائل الإعلام. وباستمرار، توصل العلماء من خلال هذه الدراسة إلى أن الرسالة التي تظهر على إحدى الصحف ينظر إليها المنحازون على أنها عدائية، في حين أن الرسالة المتطابقة لها التي تظهر في مقال لأحد الطلاب ينظر إليها على أنها غير منحازة، أو حتى ملائمة تجاه قضية حزبية.

الحزبية

تتأثر كافة الآليات التفسيرية هذه بفكرة الحزبية. وقد كشفت أولى الدراسات التي أجريت في هذا المجال عن أن التأثير العدائي لوسائل الإعلام يتطلب جمهوراً من المنحازين "المتحيزين"، ذوي معتقدات أقوى مرتبطة بمظاهر التأثير الأقوى. وبهذا يؤدي تزايد التفاني في تبني جانب معين من قضية ما إلى تزايد مستويات معالجة المعلومات المنحازة، سواء أكان الأمر خارجاً عن نطاق حماية القيم الشخصية أو بدافع إحساس قوي بالانتماء الجماعي

التأثير العدائي النسبي لوسائل الإعلام

عكفت أولى الدراسات التي تناولت التأثير العدائي لوسائل الإعلام على قياس تصورات الرسائل الإعلامية المصممة لكي تكون غير منحازة. وحيث إن الوسائل الإخبارية المتنوعة أيديولوجياً أصبحت أكثر شيوعاً، بدأت التجارب اللاحقة في استغلال الرسائل التي لم تحظ بال موضوعية الكاملة. كذلك، توصل الباحثون إلى أنه في حين اعترف المنحازون من كلا الجانبين في قضية ما بوجود شكل من أشكال الانحياز، أدركت المجموعة التي اعترضت على الرسالة إلى وجود درجة أكبر من الانحياز عن المجموعة التي دعمت الرسالة. ويشار إلى هذا التباين باسم التأثير العدائي النسبي لوسائل الإعلام، وقد ظهر هذا التأثير جلياً في التغطية الإعلامية الخاصة باستخدام الرئيسيات في عمليات الاختبارات المعملية، فضلاً عن التصورات التحزبية الظاهرة في برنامج ذا أوريلي فاكتور وبرنامج ذا ديلي شو مع جون ستينورات.

شفافية الإعلام

شفافية الإعلام هو مفهوم يحدد كيف يتم نقل المعلومات عبر الوسائل المختلفة ولماذا يتم نقلها.

وكما هو مستخدم في علم الإنسانيات، يتضمن موضوع شفافية الإعلام ضرورة أن يحمل معنى الانفتاح والمساءلة. وحتى إنه يمثل امتداداً مجازياً لمعنى يستخدم لوصف شيء "شفاف"؛ حيث يمكن رؤية الأشياء من خلاله.

وفي دراسات الاتصال، يمكن تطبيق مصطلح شفاف على الإعلام عندما:

يوجد العديد من مصادر المعلومات، تتنافس فيما بينها في كثير من الأحيان

يتم معرفة الكثير عن وسيلة توصيل المعلومات

يكون تمويل الإنتاج الإعلامي متاحاً بشكل علني

ومن بين مظاهر الإعلام الشفاف توثيق المصادر المفتوحة وعقد الاجتماعات العلنية، وطرح بيانات الذمة المالية، و تشريع حرية المعلومات، واستعراض الميزانية، وإجراء عمليات تدقيق الحسابات ،ومراجعة الأقران ،وما إلى ذلك.

يتناول موضوع شفافية الإعلام الطريقة التي يتم بها عرض الإعلام لعامة الجمهور اليوم والمخاوف التي تدور حول أسباب تصوير الإعلام للأمور بالطريقة التي ينتهجها في فعل ذلك. وقد تكون وسائل الاتصال أداة قوية للغاية في إحداث تغيير سواء أكان تغييراً سياسياً أو اجتماعياً. وللتبعات المتنوعة المترتبة على ممارسة هذه الشفافية والمؤثرة في الطريقة التي يتم بها عرض القضايا داخل أروقة الحكومة والجمهور تأثير كبير على تغيير السياسة العامة في الولايات المتحدة. كذلك يمكن أن تكون مشاركة وسائط التواصل الاجتماعي عاملاً رئيسياً في أن تقبل الحكومة أمراً ما أو ترفضه. وقد تتسبب الشفافية في إحداث مشاكل عندما يكون هناك العديد من المصادر المتنافسة وكانت تلك المصادر غير صحيحة. وفي إطار ذلك، قد تؤثر المعلومات

المتحيزة على السياسة العامة في حالة ما إذا حاولت الحكومة التلاعب بالطريقة التي تنتهجها في تصوير المعلومات، بغرض إلقاء ضوء إيجابي أو سلبي عليها. وبناءً على مدى الشفافية المتبعة في أي مقال إخباري، يمكن للمرء تحديد درجة موثوقيتها ورسم الافتراضات الخاصة بها أو استخلاص الاستنتاجات من النتائج التي توصلوا إليها.

يمكن أن يؤثر النفوذ المنتشر للإعلام تأثيراً مباشراً على الرأي العام. وقد ذكر أن "الطريقة الوحيدة في التأثير على ما يفكر فيه الأشخاص هي التحكم فيما يفكرون فيه تحديداً". وترتبط عملية تحديد الأولويات بعملية تغيير السياسة نظراً لأن "المحتوى الإعلامي ينتشر ويتفشى في ظل المعنى السياسي الصريح والضمني". وبعيداً عن الدور الذي تلعبه عملية ترتيب الأولويات في التأثير على الرأي العام، فيلزم ترتيب الأولويات باستخدام الآليات التي من خلالها تظهر "المشاكل الاجتماعية على الأجندة الإعلامية وكيف يتم تحويلها فيما بعد إلى قضايا سياسية". وبهذا تعمل الشفافية المنتهجة كطريقة في الحصول على المعلومات على تغيير معرفتنا بهذا الموضوع. وترى نظرية التأطير أن وسائل الإعلام تؤثر على أجندات القضايا من خلال تصوير قضية ما من منطلق إيجابي أو سلبي؛ وبهذا يتأثر المواطنون بعد ذلك عن طريق وسائل الإعلام ويتبنوا آراءً مماثلة. ومن خلال مناقشة القضايا المحلية بطريقة إيجابية، فيمكن أن تصبح وسائل الإعلام المحلية أداة في حشد دعم الجمهور لهذه القضايا. وفي نفس الوقت، من خلال حجب بعض المستخدمين، فهم بذلك يحددون عن مبدأ الشفافية في الإعلام.

شفافية الإعلام والسلطة

قد يلعب الإعلام دور المراقب في بعض الحالات، وفي أحيان أخرى يمكن التلاعب به ليعكس آراء مجموعة معينة في السلطة. ولقد أصبحت قوات الشرطة تتبع على نحو متزايد نهجاً استباقياً وإستراتيجياً ومهنيّاً في ظل استخدامهم لوسائل الإعلام الإخبارية. لقد تم الاعتراف لفترة طويلة، شئنا أم أبينا، أن الشرطة والإعلام يمكن النظر إليهما باعتبارهما وسيلتين أقحمتا في علاقة، إلى حد ما على الأقل، تركز على ما وصفوه بـ "الحلقة المعقدة من الاعتماد المتبادل." فوسائل الإعلام تعتمد

على رجال الشرطة من خلال النشر الدائم للمعلومات المتعلقة بقضايا "الجرائم والحوادث" والتي تعتبر بمثابة شريان الحياة لقصصهم الإخبارية التي يثونها؛ في نفس الوقت يعتمد رجال الشرطة على وسائل الإعلام من خلال تغطيتهم الإعلامية التي تساعدهم في منع الجريمة وكشفها في حال حدوثها وكذلك من خلال إظهار الصورة الإيجابية التي يتميز بها العمل الشرطي. علاوةً على ذلك، لا يمكن إغفال الدور الذي تلعبه الإدارة الفعالة واستخدام المعلومات في إستراتيجيات منع الجرائم والحد من حدوثها والتحقيق بشأنها، فكمية المعلومات التي يحصل عليها ضباط الشرطة أثناء قيامهم بعملهم كبيرة بشكل ملحوظ.

قد تؤثر المعلومات المتحيزة في السياسة العامة في حالة ما إذا حاولت الحكومة التلاعب بالطريقة التي تنتهجها في تصوير المعلومات، بغرض إلقاء ضوء إيجابي أو سلبي عليها. وبناءً على مدى الشفافية المتبعة في أي مقال إخباري، يمكن للمرء تحديد درجة موثوقيتها ورسم الافتراضات أو استخلاص الاستنتاجات من النتائج التي توصلوا إليها. وتطرح الشفافية في وسائل الإعلام القضايا المعنية بحرية التعبير بعد أن فرضت الحكومة الرقابة على المعلومات التي يتم نقلها بهدف التأثير على الرأي العام. ولقد كان الفساد القضية الرئيسية التي شهدت نموًا وتفشيًا في مناطق محددة من العالم، نظرًا لقلّة تبني مبدأ الشفافية في وسائل الإعلام.

يلزم توفير مبادئ الشفافية والعلانية والمساءلة حتى يتم إحداث تغيير. فقد لا يكون مجرد إتاحة المعلومات أمرًا كافيًا لمنع تفشي الفساد إذا كان يصعب تحقيق مبادئ العلانية والمساءلة في حالات مثل التعليم وانتشار وسائل الإعلام والانتخابات الحرة النزيفة. فيلزم أن تصل المعلومات إلى غالبية العامة إذا كان الغرض منها التحفيز على إحداث تغيير في المناطق التي يتم بها نقل المعلومات. وقد يكون من المهم تعزيز قدرة الأشخاص على التصرف بناءً على المعلومات التي يحصلون عليها من خلال اتباع مبدأ الشفافية، لزيادة مدى فعالية تلك المعلومات.

فيما يتعلق بالحكومات، قد تكون قضية الشفافية في وسائل الإعلام ذات أهمية بشكل خاص من حيث السماح لأعضاء دولة معينة بمعرفة ما يحدث فعليًا في موقف معين، دون أن يتم التلاعب بالقصة. ويشجع إساءة استخدام السلطة في بعض الدول وقد يرتبط ذلك ارتباطًا مباشرًا بقلّة الشفافية المطبقة في وسائل الإعلام. ويكمن سبب ذلك في غياب المعرفة ذات الصلة بالشؤون السياسية والعامة، وبالمشاركة والمساءلة؛ ذلك الغياب المتكرر في شكل معلومات زائدة حول القضايا غير المرتبطة أو غير المفيدة سياسيًا.

على وجه الخصوص، يعمل الإعلام على طرح المعلومات واستخدامها لصرف الانتباه عن القضايا الهامة، لتغيير مدلولات الأحداث أو الخلط بينها، لصرف اهتمام الجمهور إلى الانشغال بقضايا الترفيه. وبدلاً من تركيز الانتباه على القضايا ذات الاهتمام العام بطريقة نحترم من خلالها المصلحة العامة هذه، يتزايد التوجه نحو إذابة الحد الفاصل بين الحياة العامة والخاصة؛ حيث تتجه وسائل الإعلام في بعض الأحيان إلى التعدي على الحياة الخاصة للشخصيات العامة، مدافعين عن "حق الجمهور في المعرفة". وبالتالي، تصبح النتيجة "شفافية زائفة بين الحكومات ومحكوميهـم".

وقد قام أكاديميون من جامعة أكسفورد وكلية وارويك لإدارة الأعمال، من خلال إجراء بحث تجريبي يتناول العملية وآثار الأشكال الشفافة للتنظيم السريري عمليًا، بوصف شكل من أشكال "الشفافية المذهلة". وقد أوضحوا خلال هذا البحث أن سياسة الحكومة تتجه إلى التفاعل مع "المشاهد" الإعلامية البارزة، مما يؤدي إلى أن تحمل القرارات السياسية التنظيمية التي يبدو وكأنها تستجيب للمشاكل التي يتم بثها عبر وسائل الإعلام في طياتها آثارًا سلبية جديدة عند الممارسة العملية؛ تلك الآثار التي لا ينتبه لها المنظمون أو وسائل الإعلام.

تولي الحكومة أهمية كبيرة في أن يقوم الإعلام بتسليط الضوء عليها. لقد أدرك القادة من آلاف السنين أهمية الصورة البصرية على الشخصية التي تظهر

أثناء ممارسة علاقاتهم العامة. فلقد تم تصميم جميع أنواع اللباس وإعداد الطقوس والماراسم بحيث تعمل على ترسيخ نظرة القوة والهيمنة لدى القادة. ومنذ بدايات ظهور الصحافة الفوتوغرافية، وجد القادة فرصة إعداد صورتهم السياسية بشكل لائق من خلال تمثيلاتهم البصرية.

تتعارض الدرجة التي يصل إليها الوكلاء الحكوميون للتأثير على عملية إنتاج الفيديو مع استخدام تلك الصور من قبل وكالات الأنباء كتمثيلات مؤشيرية أو موضوعية. وحيث إننا نسايي بقوة كبيرة بين الرؤية والمعرفة، فبالتالي تعمل مشاهدة الفيديو على خلق انطباع غير دقيق بأننا نحصل على "الصورة الكاملة". ويُقال إن "ما يتم عرضه في الأخبار يعتمد على ما يمكن إثباته منها". كذلك، تظهر دراسات الحالة الخاصة بهذا المشروع أن ما يمكن إثباته يتم إقراره في كثير من الأحيان بما يتوافق مع اهتمامات الوكلاء السياسيين. وبشكل أساسي، إن الطريقة التي ينتهجها الإعلام في عرض معلوماته تعمل على خلق وهم من الشفافية.

تصر بعض المنظمات والشبكات أنه لا يتم توفير المعلومات العادية التي تستحوذ على الاهتمام المجتمعي بشكل مجاني فحسب، بل يتم كذلك نشر كافة المستويات الفوقية (أو كلها تقريبًا) الخاصة بعملية تنظيم واتخاذ القرار أنفسها. وهذا ما يُعرف باسم الشفافية الراديكالية. ومن بين هذه المنظمات: ويكيبيديا، بيئة جنو/ليونكس واندرويد (الإعلام المستقل)

عندما تعقد مؤسسة ما (شركة أو حكومة أو منظمة غير ربحية أو غيرها) اجتماعًا ويتم الترتيب لكافة الإجراءات علنًا أمام الجماهير (والصحافة، ويجري الإعلان لعقد الاجتماع من خلال استخدام واحدة أو أكثر من الأساليب التالية، بالتالي تقل فرصة المؤسسة في استغلال النظام الخاص بنقل المعلومات بما يتوافق مع مصلحتها الخاصة:

الإذاعة عبر المذياع

العرض على شاشة التلفاز

النشر في أوراق الصحف

التدوين عبر مدونات الويب

وهذا بالطبع على افتراض أن المنظمة لا تملك أن أو بالأحرى لا تؤثر على وسائل الإعلام التي تنقل المعلومات.

إن أخلاقيات الإعلام هي قسم فرعي من الأخلاقيات التطبيقية التي تتعلق بالمبادئ والمعايير الأخلاقية الخاصة بالإعلام، وتتضمن الإعلام الإذاعي والأفلام والمسرح والفنون والإعلام المطبوع والإنترنت. ويغطي هذا المجال موضوعات مختلفة وجدلية بصورة كبيرة، بداية من صحافة الحروب إلى بينيتون للدعاية الإعلان.

مجالات أخلاقيات الإعلام

أخلاقيات الصحافة

إن أخلاقيات الصحافة هي أحد أفرع أخلاقيات الإعلام الأفضل تحديدًا، وخاصة لأنها عادةً ما تدرس في كليات الصحافة. وتميل الأخلاقيات الصحفية إلى السيطرة على أخلاقيات الإعلام، حتى أنها غالبًا ما تستثني المجالات الأخرى. تتضمن الموضوعات التي تغطيها أخلاقيات الصحافة:

التلاعب بالأخبار. يمكن التلاعب بالأخبار والتلاعب فيها. قد تحاول المؤسسات والحكومات التلاعب بالإعلام الإخباري؛ وتقوم الحكومات بذلك، على سبيل المثال، عن طريق الرقابة والمؤسسات عن طريق ملكية الأسهم. إن أساليب التلاعب خفية ومتعددة. وقد يحدث التلاعب عمدًا أو عن دون قصد. وهؤلاء الذين يتم التلاعب بهم قد لا يكونون على دراية بما يحدث. انظر: الدعاية الإخبارية.

الحقيقة. قد تتعارض الحقيقة مع القيم الأخرى.

المصلحة العامة. إن الكشف عن الأسرار العسكرية والمعلومات الحكومية الأخرى الحساسة قد يكون متعارضًا مع المصلحة العامة، حتى لو كان حقيقًا. ولكن، ليس من السهل تعريف مصطلح المصلحة العامة.

الخصوصية. إن التفاصيل الخليعة في حياة الشخصيات العامة تعد عنصرًا في العديد من الوسائط الإعلامية. ولا يعد النشر بالضرورة مبررًا لكون المعلومات حقيقية. تعد الخصوصية أيضًا حقًا من الحقوق والذي يتعارض مع حرية التعبير. انظر: مصورون صحفيون.

الخيال. يعد الخيال عنصرًا من عناصر الترفيه وهو من الأهداف المشروعة في المحتوى الإعلامي. وقد تخلط الصحافة أحيانًا بين الخيال والحقيقة مما يتسبب في مشكلات أخلاقية. انظر: ناشونال إنكوايرر، فضيحة جايسون بلاير، الجدل حول صور عدنان الحاج.

التذوق الحسي. إن المصورين الصحفيين الذين يغطون الحروب والكوارث عادةً ما يواجهون مواقف قد تمثل صدمة لمشاعر جمهورهم. على سبيل المثال، نادرًا ما يتم عرض البقايا البشرية. وتتلخص القضية الأخلاقية في، إلى أي مدى يجب على المرء المخاطرة بصدمة مشاعر جمهوره ليقوم بتقديم الحقيقة الكاملة بصورة صحيحة. انظر الصحافة المصورة.

التعارض مع القانون. قد تتعارض الأخلاقيات الصحافية مع القانون حول القضايا مثل حماية مصادر الأخبار السرية. وهناك أيضًا السؤال المتعلق بمدى المقبولية الأخلاقية لخرق القانون للحصول على الأخبار. على سبيل المثال، قد يرتكب الصحفيون جرائم مثل التزليل والتعدي على الممتلكات وجرائم وأضرار مشابهة. انظر الصحافة السرية والصحافة الاستقصائية.

أخلاقيات الإعلام الترفيهي

تتضمن القضايا التي تتعرض لها أخلاقيات الإعلام الترفيهي:

تصوير العنف والجنس واستخدام الألفاظ النابية. وتشجيع المبادئ التوجيهية والتشريعات الخاصة بهذه القضية وتخضع العديد من الوسائط الإعلامية (مثل، الأفلام وألعاب الكمبيوتر) إلى أنظمة تصنيف وأنظمة رقابة بواسطة بعض الوكالات المتخصصة. يمكن الوصول إلى دليل لأنظمة التطبيق العالمية شامل في تصنيفات الأفلام.

إقحام المنتج. من أساليب التسويق الأخاذة في الشيوع هي إقحام المنتج في وسائل الإعلام الترفيهية. ويتم دفع مبالغ طائلة من الأموال لمنتجاتي الإعلام الترفيهي ليقوموا بعرض المنتجات ذات العلامات التجارية. وتعد هذه الممارسة جدلية وغير خاضعة للتنظيم في الغالب. المقال التفصيلي: إقحام المنتج.

الصور النمطية. إن كل من الدعاية والإعلان والإعلام الترفيهي يستخدمان الصور النمطية بكثرة. قد تؤثر الصور النمطية بشكل سلبي على رؤية الأشخاص لأنفسهم أو قد يؤدي استخدامها إلى ترويج سلوكيات غير مرغوب فيها اجتماعيًا. ومن أمثلة موضوعات الجدل الرئيسية التصوير النمطي للرجال والثراء والإثنيات.

التذوق الحسي والتابو. غالبًا ما يتحدى الإعلام الترفيهي قيمنا الشخصية والثقافية لأغراض ترفيهية وفنية. تتمحور الأخلاق المعيارية عادةً حول القيم الأخلاقية والأنواع التي يجب فرضها وحمايتها. ويتعارض هذان الجانبان في أخلاقيات الإعلام. لأهداف الفن قد تحاول وسائل الإعلام عمدًا الابتعاد عن المعايير الموجودة وصدمة الجمهور. ويشكل هذا مشكلات أخلاقية عندما تكون المعايير التي تم الابتعاد عنها مرتبطة بقيم أو التزامات أخلاقية معينة ذات صلة. ولقد مثلت دائمًا مدى مقبولية هذه الفكرة بؤرة للجدل الأخلاقي. انظر :جائزة تيرنر، الفحش، حرية التعبير، الجماليات.

الإعلام والديمقراطية

تتواجد علاقة خاصة جدًا بين الإعلام والحكومة في الدول الديمقراطية. فعلى الرغم من أن حرية التعبير قد تكون منصوص عليها في الدستور ولها تعريف قانوني محدد ويتم تنفيذها وفقه، فإن ممارسة حرية التعبير بواسطة الصحفيين من الأفراد هو أمرًا يرجع إلى الاختيار الشخصي والأخلاقيات. تستند الحكومات الديمقراطية الحالية إلى تمثيل المئات للملايين. ويجب تواجد قنوات اتصال فعالة بينهم وبين ناخبهم وذلك ليكون الممثلون عرضة للمسائلة، وحتى تتميز العمليات الحكومية بالشفافية. اليوم، تتكون هذه القنوات بشكل رئيسي من وسائل الإعلام العامة، لدرجة أنه إذا اختفت حرية الصحافة كذلك ستختفي غالبية المسائلة السياسية. وفي هذا المجال، يتم دمج أخلاقيات الإعلام بقضايا الحقوق المدنية والسياسة. تتضمن القضايا: تقويض المصالح المالية لاستقلالية الإعلام

رقابة الحكومة للإعلام لجمع الاستخبارات ضد شعوبها. انظر، قاعدة بيانات المكالمات الهاتفية التي تديرها وكالة الأمن القومي، على سبيل المثال.

انظر :حرية المعلومات، شفافية الإعلام، حق الوصول إلى المعلومات L. Mera .

إن اقتصاديات الإعلام تتلخص في وجود تأثيرات أخلاقية لقضايا مثل: إلغاء الضوابط والقيود الإعلامية وتكثيف ملكية وسائل الإعلام وضوابط هيئة الاتصالات

الفيدرالية في الولايات المتحدة واتحادات نقابات العمال الإعلامية وقضايا العمال والهيئات التشريعية المماثلة عالميًا وإعلام المواطن) تردد إف إم منخفض الطاقة، الإذاعة المجتمعية)

أخلاقيات الإعلام والمسؤولون الحكوميون

لقد أثر الإعلام في الطريقة التي يتصرف بها المسؤولون الحكوميون فيما يتعلق بالتطور التكنولوجي. حيث تعرض التغطية التلفزيونية المستمرة للإجراءات التشريعية بما يعني الكشف، بصورة أسرع من أي وقت مضى، عن القرارات غير العادلة في العمليات الحكومية بأكملها. إن الإخبار بالحقيقة هو شيء مهم للغاية في أخلاقيات الإعلام، حيث إن أي إعاقة لإخبار الحقيقة تعتبر خداعًا. وأي مادة يتم عرضها في الوسائل الإعلامية سواء مطبوعة أو فيديو تعتبر أصلية. وعندما يتم كتابة تصريح في مقالة أو عرض مقطع فيديو لأحد المسؤولين الحكوميين، فتكون الكلمات "الحقيقية" للمسئول الحكومي نفسه.

أبعاد تباين الثقافات في أخلاقيات الإعلام

إذا كانت القيم تختلف بين الثقافات، فإن هذه القضية تنشأ عن مدى إمكانية تعديل السلوك في ضوء القيم الخاصة بثقافات محددة. مثالان عن الجدل الدائر في مجال أخلاقيات الإعلام:

الرقابة الذاتية لجوجل في الصين.

جدل الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم في صحيفة يولانديس بوستن في الدنمارك، ولاحقًا عالميًا.

قضايا التعريف في أخلاقيات الإعلام

من الأسئلة النظرية التي تعني بأخلاقيات الإعلام هو مدى كونها مجرد تقسيم موضوع آخر في مجال الأخلاقيات التطبيقية، يختلف فقط فيما يتعلق بتطبيقات

الحالة ولا يطرح قضايا نظرية خاصة بموضوعه. أقدم تطبيقات الأخلاقيات التطبيقية هي: أخلاقيات الطب وأخلاقيات الأعمال. هل يمكن لأخلاقيات الإعلام تقديم أي قضايا جديدة بدلاً من الحالات المثيرة فقط؟

أوجه التشابه بين أخلاقيات الإعلام والأفرع الأخرى من الأخلاقيات التطبيقية

الخصوصية والصدق هي قضايا يتم تغطيتها بشكل مكثف في الكتابات حول أخلاقيات الطب، وكذلك مبدأ تفادي الضرر. ولقد تم تغطية المفاضلة بين الأهداف الاقتصادية والقيم الاجتماعية على نطاق واسع في أخلاقيات الأعمال) وكذلك في أخلاقيات الطب وأخلاقيات البيئة(

أوجه الاختلاف بين أخلاقيات الإعلام والأفرع الأخرى من الأخلاقيات التطبيقية

تهتم أخلاقيات الإعلام بقضايا حرية التعبير والقيم الجمالية (التذوق الحسي) بشكل رئيسي. ولكن، هناك بعض القضايا الأخرى التي تميز أخلاقيات الإعلام كفرع من الأخلاقيات التطبيقية في حد ذاته.

من القضايا النظرية الخاصة بأخلاقيات الإعلام هي هوية الراصد والمرصود. إن الصحافة هي أحد الأوصياء الأساسيين في المجتمعات الديمقراطية على العديد من الحريات والحقوق والواجبات التي يتم مناقشتها في الأفرع الأخرى من الأخلاقيات التطبيقية. في أخلاقيات الإعلام تأتي الالتزامات الأخلاقية للأوصياء أنفسهم في المقدمة ويتم التركيز عليها بشدة. من الوصي على الأوصياء؟ ويتم طرح هذا التساؤل في أخلاقيات القانون أيضاً.

من الخصائص الدورية أو ذات المرجعية الذاتية في أخلاقيات الإعلام هي التشكيك في قيمها نفسها. يمكن أن تصبح قضايا التعريف مطابقة لموضوع أخلاقيات الإعلام. ويمكن رؤية هذا بوضوح عند التعامل مع عناصر فنية. يعد كل من بينيتون للدعاية والإعلان والمرشحين للحصول على جائزة ترنر أمثلة على استخدامات الإعلام المشكوك فيه أخلاقياً والذي يتم فيها مساءلة القائمين على مسائلتهم.

من خصائص أخلاقيات الإعلام الأخرى هي الطبيعة المتباينة لأهدافها. تنشأ المشكلات الأخلاقية عندما تتعارض الأهداف. تختلف أهداف استخدام الإعلام بصورة شديدة. عند التعبير عن استخدام الإعلام بأسلوب تبعي، فإنه قد يكون عرضة لضغوط لزيادة الأرباح الاقتصادية والقيمة الترفيهية ومحتوى المعلومات المقدم وإعلاء الحريات الديمقراطية وتطوير الفن والثقافة والشهرة والغرور.

الإعلام السياسي والبيئة السياسية

الاتصال السياسي : هو النشاط السياسي الذي يقوم به الساسة و الاعلاميون وافراد المجتمع الذي يعكس أهداف سياسية محددة تتعلق بقضايا البيئة السياسية وتؤثر في الرأي العام والحياة الخاصة للأفراد والشعوب من خلال وسائل الاتصال المتنوعة، وهو ما يعكسه نشاط الساسة داخل الحكومة وخارجها الذين يتخذون من وسائل الاعلام منبرا لايصال اصواتهم للشعب ، أو نشاط الاعلاميون الذين يشاركون السلطة في صناعة القرار وفي العملية السياسية ، وقد يشارك افراد المجتمع في العملية السياسية من خلال مشاركتهم بوسائل الاعلام والاتصال المختلفة، في حالة الاعلام كوسيلة اتصال بين الحكومة والجمهور لعرض همومهم ومشاكلهم التي تشغل الكثير من الجماهير لاهميتها القصوى.

والاتصال السياسي يرفع حالى الوعي السياسي للأفراد في الدول الديمقراطية والمتطور ، بينما في المجتمعات النامية والتي تمارس الدكتاتوريات يهدف الهيمنة والتحكم في سلوك الافراد والجماعات .

البيئة السياسية : تعتبر البيئة السياسية هي احدى وسائل الاتصال السياسي من خلال التأثير المعرفي على الاتصال الشخصي وأنعكاسه على السلوك السياسي للفرد. والاحداث والازمات السياسية تخلق بيئة سياسية فاعلة ومؤثرة على ممارسة وسلوك الافراد وتساعدهم على المشاركة السياسية مع الاحداث والازمات نتيجة متابعتهم للاخبار والاحداث والتحليلات عبر وسائل الاعلام المتنوعة. وكذلك الناخبين

يكتسبون معلوماتهم السياسية من بيئتهم المحيطة بهم في الحملات الانتخابية من خلال الاتصال السياسي عن طريق اختيار الرسائل الاعلامية التي تلبي رغباته الذاتية ، وان جمهور الاتصال السياسي هو جمهور مسؤول عن اختيار ما يناسبه من وسائل الاعلام المتنافسة على مصادر الاشباع المعلوماتية التي تحقق له اكبر قدر ممكن من الاشباع الذاتي.

دور الاعلام : الاعلام هو دور الوسيط في الاتصال السياسي ويساهم في صياغة وتشكيل الحقيقة السياسية في المجتمعات الديمقراطية التي تمنح وسائل الاعلام حرية التعبير عن القضايا التي تشغل جماهير المجتمع ، وتعتبر وسائل الاعلام مرآة المجتمع العاكسة لأهم القضايا التي تثير الساسة وصناع القرار. و لوسائل الاعلام قدرة في ترتيب أوليات الجماهير، فهناك نوعين من الجمهور يتناولهم الاعلام السياسي في طرح القضايا السياسية والاراء "جمهور نخبوي" تتأثر به وبطبيعة القضايا المهمة التي تشغله "وجمهور عام" يسهل التأثير عليه وأغلب تلك الجماهير ليست لها ولاءات سياسية وغير مهتمة بمواضيع السياسة ولا بالمشاركة السياسية

وهناك نمطين من وسائل الاعلام غط "أعلام حر ومستقل" وهذا الاعلام أكثر حرية في تسليط الاضواء على المشاكل السياسية والاقتصادية والامنية التي تهم كل الجماهير ويواجه نقد من قبل الجمهور اذا أهملت قضاياها المهمة في المجتمع. ونمط آخر "أعلام مملوك" وهو مايسمى بالاعلام الرسمي في المجتمعات النامية وهو يعتمد على جمهور النخبة ويتجاهل أرادة الجماهير على الرغم من وعي افراد المجتمع بالنشاط السياسي ، حيث تضيق الحريات في تلك المجتمعات رغم معرفتهم بالامور والاحداث، الا ان حرية التعبير مفقودة والنقد ممنوع رغم ما يشهده العالم من ثورة الاتصالات والتكنولوجية التي تجاوزت سياسات الاحتكار.

الوسيلة والهدف للاتصال السياسي : وكون الاتصال السياسي محدد باهداف مقصودة وغايات مرسومة ، فالسياسي يتحدث الى الجمهور من خلال وسائل الاعلام لغرض ايصال رسالة محدودة المقاصد الى الجمهور، والاعلامي الذي يراقب

اعمال الحكومة وأساليب ممارسة السلطة، وكذلك الافراد الذين يشاركون في العملية السياسية من خلال وسائل الاعلام من اجل التعبير عن ارائهم اتجاه قضاياهم. وأن تدفق المعلومات من وسائل الاعلام الى قادة الرأي في المجتمع هي الوسيلة المثلى للاتصال السياسي، وينقلون تلك المعلومات التي تبثها وسائل الاعلام بطريقة التحليل والتفسير للجمهور وتقديم وجهات نظرهم المختلفة لتلك المعلومات والرسائل الاعلامية.

وفي الازمات السياسية والاقتصادية والعسكرية الغير طبيعية التي تمر بها المجتمعات تلجأ النخب السياسية الى التعامل المكثف مع وسائل الاعلام لابرار وجهات نظرهم وأرائهم للتأثير على الرأي العام، وقد تكون تلك النخب تمثل المعارضة أو الحكومة . وهنا دور الاعلام يكون دور الوسيلة حيث تنقل وجهات النظر السياسية المختلفة ، وكذلك الناس في تلك الازمات تهرع الى وسائل الاعلام كمصدر اساسي لاستقاء المعلومات حول تلك الاحداث والازمات وهذه الاحداث تعطي فرصة التنافس الاعلامي في تقديم المعلومات والاخبار التي ترقى الى مستوى الحدث، وقد يطلق اصطلاح الاعلام السياسي في تلك الازمات " اعلام الازمات السياسية" وهنا يكون الاتصال السياسي حقق هدفه الاساسي من خلال ايصال رسالته المقصودة الى الجمهور.

الفصل الرابع

الإعلام الواعي السياسي

نشأة الوعي السياسي

تعد نشأة الوعي السياسي عند الإنسان أثناء عملية الإنتاج الاجتماعي ولهذا فهو ثمرة من ثمار التطور الاجتماعي ففي عملية الإنتاج بالذات وفي عملية إعداد أدوات الإنتاج وأثناء التفاعل مع الطبيعة يستطيع الإنسان ان يعي وان يكتشف خصائص الأشياء ويفرق بين ما هو جوهري، وما هو غير جوهري وان يظهر الترابط الحتمي والسببي بين الظواهر، وان يعي العلاقة بينه وبين الوسط الذي تعيش فيه^(١).

ويرتبط نشوء الوعي السياسي بشكل عام عند الإنسان بظهور اللغة. فقد اثر تكون اللغة تأثيراً بالغاً في تكوين الوعي وتطوره، اذ عن طريق اللغة بدأ الحوار بين الإنسان منذ الفترات التاريخية السحيقة.

وكانت للحضارات الإنسانية باختلافها تجليات واضحة على إبراز الوعي السياسي لدى الشعوب.

فالرومان كانت لديهم إسهامات واضحة وجليّة على معرفة الفرد بحقوقه السياسية والقانونية، فضلا عن دورهم في تحليل الأحداث السياسية التي مرت بها إمبراطوريتهم، (إلا أن تصور الإمبراطور الروماني بان له سلطانا وحقوقاً غير محدودة)^(٢).

قد انعكست على نوع من الوعي السياسي القيادي والمتعلق بذات الإمبراطور، فنظره تحليلية إلى ذلك العصر تكشف انه لم يكن هناك انفتاح سياسي العصر كما نراه في الوقت الراهن بالصورة الواضحة في المجتمعات المعاصرة والمتحضرة.

أما (اليونانيون) فيعود لهم الفضل في نشر الكثير من المفاهيم السياسية التي أصبحت بمثابة قواعد فكرية والتي أصبحت فيما بعد إلى قواعد للانطلاق الديمقراطي خاصة في أوروبا. ففي مجال الوعي السياسي نبدأ بالتاريخ الأوربي والظروف التي ساعدت على نمو الوعي لدى الفرد الأوربي عبر الزمن وأولى التجليات كان بظهور

١ د. عبد مسلم الماجد - مذاهب ومفاهيم في الفلسفة والاجتماع - المكتبة العصرية - بيروت ط ١ - ١٩٩٥ ص ١٢٩، *الوسط:- المقصود به البيئة التي يعيشها الإنسان وتؤثر في توجهاته وأفكاره.

٢ د. عبد الجبار مصطفى - الفكر السياسي الوسيط والحديث - جامعة بغداد - ١٩٨٢ ط ١ - ص ٤١.

(عصر النهضة الأوروبية) - (Renaissance) - وقد مثل هذا العصر رد فعل على الاستبداد الكنيسي في تلك الفترة، فالأوروبيون شعروا بحقوقهم الضائعة والمحتركة من قبل سلطة الكنسية وتصرفاتها غير الواقعية ويعرف (عصر النهضة) على أنه:- يدل على حركة البعث الجديد أو الأحياء، ومن ثم فهو تشير إلى تلك الروح النقدية التي ظهرت بالنسبة للفلسفة والأدب ولجميع المعارف والفنون الكلاسيكية، ومحاولة البحث والاستقصاء والاعتماد على النفس والاهتمام بالأمور الدينية^(١).

وكان هدف عصر النهضة هو إحداث التغيير والابتكار وحدثت بدايات التغيير في أوروبا وخاصة في إيطاليا فقد دفعت أوروبا استثنائياً في طريق مشروع مثمر محصور في الزمان وذو مردود تاريخي كبير، وشي ذو دلالة أنها كانت ظاهر نهضة تلازمت مع إبراز المشكلات في ذلك العصر وهي مشكلة (الاستبداد).

فالإحداث التاريخية تشير إلى ان نمو الوعي القومي في إيطاليا وتأسيس الجمهوريات في مدنها، إذن العامل السياسي ومحاولة القضاء على التوترات التي كانت موجودة بين مدن إيطاليا ساعد على نمو الوعي السياسي لدى الفرد الغربي حيث أشعره بضرورة تحسين الأوضاع القائمة حينذاك فالصراع الموجودة بين السلطتين الزمنية والدينية، أي: سلطة الإمبراطور وسلطة البابا، وبطبيعة الحال أن الصراع كان على تولى المراكز، فكانت الكنسية محتفظة بالمركز الديني ومارست من خلال ذلك النفوذ انواعاً من الاستبداد والشمولية في السلطة.

وكان للمفكرين الذين ظهوروا في تلك الفترة تأثير ملحوظ في الأفكار السياسية لدى العامة الذين عانوا من النزاع بين السلطة الدينية والمدنية، ومنهم (ميكافيلي) صاحب كتاب الأمير والذي رجع سبب التخلف في إيطاليا وعدم الاستقرارها إلى وجود السلطة الدينية المطلقة.

^(١) د. موسى إبراهيم - معالم الفكر السياسي الحديث والمعاصر - مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر - بيروت - ط - ١٩٩٤ - ص ١٣.

(كانت ميكافيلي يهاجم الدين المسيحي لان تعاليمه لا تلائم مطالب السياسة وأهدافها، حيث ان الفصائل المسيحية تدعو إلى الذل والهوان) .

إلا ان هذا الاعتقاد فيه نوع من التصعيد والإطلاق في الحكم على الديانة المسيحية، لان الممارسات الخاطئة وغير الواقعية واستغلال الكهنة ورجال الدين للدين لتحقيق مصلحة ذاتية هي التي أدت إلى ردود فعل لدى العامة من الناس.

والأمر الهام في أفكار المفكرين وخاصة مفكرين عصر النهضة والأنوار هو النهوض بالوعي السياسي وزيادة اهتمام الناس بالأمور السياسية وخاصة السلطة، وفلسفة الأنوار باعتبارها ظاهرة ثقافية أوروبية واسعة المدى.

(وقد تشابك عدة عناصر لتحديد حركة الأنوار، لكنها تطورت أساسا بوصفها نقداً للدين والسياسة، والدين أكثر من السياسة، فقد نسفت النظام القديم بكليته وفي جذوره) ^(١) .

وهذه الأفكار الفلسفية ساعدت الشعوب الغربية في التخلص من قيود الظلام والاستبداد والسلطة المطلقة وكل ما يتعلق بغلق الفكر والحرية الإنسانية.

إما في الشرق فكان العكس مما هو الحال عليه في أوربا خاصة في العصور الوسطى، فقد عرف الشرق الاستقرار السياسي وذلك نتيجة لظهور الإسلام وقيام الحضارة الإسلامية، وما جاءت به تلك الحضارة على مبادئ وأفكار على العكس مما كانت موجودة في الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام، ومثلت الحضارة الإسلامية حلقة غنية ربطت بين الحضارات القديمة الشرقية والإغريقية وبين حضارة العصور الحديثة.

فالإسلام دين حقيقي، الهي، أدبي - عبادي، أي ان الإسلام لم ير ذلك الفصل بين ما هو ديني وما هو دنيوي الامر الذي ادى إلى الاهتمام بالسياسة ضمن الشريعة الإسلامية وفي أول دولة إسلامية رأت النور على الأرض. وهنا يقول غولدزيبية (ان الإسلام قد جعل الدين دنيوياً لقد أراد ان يبنى حكماً لهذا العالم بوسائل هذا العالم) ^(٢).

^(١) هشام جعيط - أزمة الثقافة الإسلامية - دار الطليعة - بيروت - ط ١ - ٢٠٠٠م - ص ١٣٥.

^(٢) هشام جعيط - أزمة الثقافة الإسلامية - دار الحقيقة - بيروت - ط ١ - ١٩٨٠ - ص ١٢٨.

ويقول (ستول هورغرونج) ضمن هذا المضمار - إن الإسلام قد دخل في العالم كدين سياسي ودلالته العالمية تعود للتحالف بين هذين العاملين المتعارضين من حيث المبدأ. إذن إن الأمر الضروري فيما قاله هذان المفكران هو أن الإسلام منذ أن جاء إلى الواقع جاء بمفاهيم مرنة قابلة للانسجام مع الواقع البشري ولم تكن خيالية فقد شكلت تلك المفاهيم وعياً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وفقاً للمنظور الإسلامي ومبادئه وتوجهاته.. فقد استطاع الإسلام من معالجة الواقع الاجتماعي في (مكة) التي كان قليلاً إلى حد كبير، حيث المجتمع منقسم إلى طبقتين (الأسياء - العبيد) وهذا التغير على الواقع المكي تمثلت انبثاقاً حضارياً في الشرق، فالمفاهيم والمبادئ والأفكار هي التي تساعد على نمو الوعي السياسي فقد احتوى الإسلام على كل ذلك، و الوعي السياسي في الإسلام بدأ مبدئياً بظهور دولة المدينة والسلطة السياسية المعروفة في شخصية الرسول.

إما ما تعيشه المجتمعات في الشرق (العالم الإسلامي) من الجمود والانغلاق الفكري والمعرفي وعدم الموضوعية والعلمية في تفسير الظواهر والأحداث السياسية وعدم الإمكانية من المشاركة السياسية، فكل هذه ما هي إلا إفرازات حكومات استبدادية عملت على احتكار جميع مجالات الحياة، - وهذا ما سنوضحه في باب المعوقات.

إن الحركات القومية في خمسينات القرن الماضي من خلال رفع شعارات (التحرر - والوحدة) ساعد على نمو الوعي القومي بقضايا المنطقة، إلا أن الوعي لم يكن وعياً سياسياً موجهاً، أي فاعلاً من قبل الجماهير وإنما تحت تأثير وتخدير السلطة والأحزاب الحاكمة. (فالأنظمة كانت تفتقر إلى الشرعية الدستورية. وحتى ذلك الوقت لم يتم عملية الانتقال من شرعية قبلية والريفية إلى الشرعية القانونية والدستورية مثلما نراه في الغرب) ^(١).

^(١) د. محمد حسنين هيكل - خريف الغضب - بيروت - الطبعة الحادي عشر ١٩٨٥ - ص ١٤٥.

واما الفترة التي تلت الخمسينات فلم يحدث فيها تغيرات جذرية في المنطقة وخاصة ان تلك الفترة شهدت صراعاً عربياً - إسرائيلياً وكان الإعلام والدعاية كلها موجهة لتغطية ساحات المعركة ومواقف الزعماء أمثال (جمال عبد الناصر) وغيره، حتى حدوث نكسة (١٩٦٧) المعروفة. والتي أدت إلى تلاشي آمال الجماهير العربية بالحركات التحررية والقيادات القطرية في تلك الفترة.

إن حالة الوعي السياسي بصورة عامة في منتصف الأربعينات وحتى بداية التسعينات تأثرت إلى حد كبير بالمسألة الدولية والصراع الدولي والعلاقات بين القطبين العملاقين في العالم، حيث كانت هناك صراعاً أيديولوجياً بين الولايات المتحدة التي مثلت القطب الغربي، والاتحاد السوفيتي (السابق) والتي مثلت القطب الشرقي، فالبينة الدولية كانت تعكس تجليات على البيئة الداخلية وخاصة الفكرية. وان ظروف الحرب الباردة التي استمرت من (١٩٤٥-١٩٩٢) شكلت نظاماً دولياً مرتبكاً إلى حد كبير وأعطى للحكومات خاصة في الشرق الأوسط الحجة في إعلان حالة الطوارئ واستحالة إمكانية التغيير الديمقراطي بحجة الظروف التي تمر بها الدول وتهديد التغيير على الأمن القومي كل ذلك أدى إلى بقاء المجتمعات العربية تحت الاستبداد السياسي وبذلك أصبح الوعي السياسي قاصراً على مفاهيم الثورة ومصطلحات القائد الكاريزما وحتى وقتنا الحاضر ما تزال بعض البلدان تعيش حالة الطوارئ ولا ندري ما الذي يكمن في سر حالات الطوارئ ولا نرى أي مبرر لها سوى استخدامها للحفاظ على كراسي الحكم التي لا تتغير إلا بالجلطة الدماغية.

ماهية الوعي السياسي

الماهية:

الوعي (ادراك المرء لذاته ولما يحيط به إدراكاً مباشراً وهو أساس كل معرفة) ^(١) ويمكن إرجاع مظاهر الشعور أو الوعي إلى ثلاثة أقسام:-

١- الإدراك والمعرفة ٢- الوجدان ٣- النزوع والإرادة

هنا ووفقاً لمفهوم الوعي السياسي بشكل عام يشير الوعي إلى العوامل المرتبطة بالبيئة الإنسانية ومعرفة الإنسان بتلك البيئة من جميع النواحي معرفة واعية بحيث يستطيع تحليلها ومعرفة نتائجها.

وعلماء النفس يعرفون الوعي بأنه (شعور الكائن الحي بنفسه أو ما يحيط به) ^(٢).

ومع تقدم العلم اخذ مدلول (الوعي) ينمو نحو العمق والتفرع والتوسع، ليدخل العديد من المجالات النفسية والاجتماعية والفكرية، فقد كثرت المجالات التي يضاف إليها الوعي، فهناك الوعي الاجتماعي والوعي الطبقي والوعي السياسي. الذي سنقتصر حديثنا عليه هنا.

وبخصوص الوعي السياسي فتخلف التعاريف التي عرفت به هذا المفهوم على حسب الاختلاف الایدولوجيا والبيئي للمجتمعات البشرية، حيث يعطي كل مجتمع تعريفاً خاصاً للوعي السياسي حسب نوعية ذلك المجتمع.

فمثلاً تركزا الاشتراكية على العامل الاقتصادي ودور الطبقات في الإشارة إلى ماهية الوعي السياسي وتعريفه، فقد عرف (لينين) السياسة بأنها (أكثر التعبير تركيزاً على الاقتصاد) ^(٣) وهنا تدور السياسة حول مسائل الوضع الاقتصادي خاصة بالنسبة

^(١) أحمد خورشيد النورة جي - مفاهيم في الفلسفة الاجتماعية - دار الشؤون الثقافية - بغداد - ط ١ - ١٩٩٠ ص ٢٥٣

^(٢) د. عبد الكريم بكار - تجديد الوعي - دار القلم - دمشق - ط ١ - ٢٠٠٠ ص ٩.

^(٣) أ. ك اولدوف - ترجمة ميشل كيلو (الوعي الطبقي) - دار خلدون - بيروت ط - سنة ١٩٧٨ ص ٧٣.

للطبقات التي تشكل المحور الرئيسي في الفكرة الاشتراكية وهنا يشير (كار ماركس) وفقاً للعلاقات الاقتصادية من حيث تأثيرها في السياسة حيث يقول (لقد أخفقت الفكرة دوماً بقدر ما كانت مختلفة عن (المصلحة). وحمل الاختيار لصحة وواقعية الأفكار السياسية هو الصراع الطبقي والفعلي الذي يخاض وفقها) .

وهنا يتبين بان الاشتراكية قد ركزت على الطبقة كونها هي التي تشكل الوعي السياسي في داخل المجتمعات الإنسانية، فالطبقة وحسب مصلحتها تنظر إلى الأمور وتحللها من زاوية مصلحة الأفراد التي تشكل تلك الطبقة الموجه لإفرادها إلا ان هذه النظرة قد تغيرت في الوقت الراهن حتى بالنسبة لبعض الاتجاهات الاشتراكية.

ونرى في الاتجاه الرأسمالي على العكس من الاشتراكية الدور الأكبر والأنشط للفرد في حياته وفهم المفاهيم والمصطلحات السياسية حيث ساعد كل من السوق الحر والصحافة الحرة وحرية الرأي والتعبير على خلق نوع من الوعي السياسي المنتج والمؤثر على كافة الأصعدة والقضايا التي تحدث في المحيط الغربي التي تمثل راعي الفكرة الرأسمالية، إلا ان ذلك لا يعني ان الفكرة الرأسمالية قد شكلت مجتمعاً إنسانياً مثالياً. فالبعد السلبي في هذه الفكرة يتوضح من خلال استلاب الإنسان ووعيه وتعامل الآلة مع الإنسان، من خلال إهماله عندما يستنفذ طاقاته في العمل ونرى ذلك بوضوح في مجتمعات الرأسمال والرأسمالية.

واما الفكرة الإسلامية فقد أشارت إلى مسألة الوعي في إطار السياسة الشرعية وقد ارتبطت كلمة (الوعي) في الفكر الإسلامي بالجمع والحفظ على النحو الذي نجده في القرآن الكريم (وجمع فأوعى) ^(١) ، وقد كونت وعياً سياسياً لدى المسلمين منذ قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة وذلك لارتباط الجانب الديني والدنيوي ببعض، وبدأ العمل على نشر الدعوة الإسلامية ونشر المفاهيم السياسية التي جاءت بها الإسلام.

^(١) سورة المعراج - الآية (١٨).

إلا ان النظرية قد لا تجد التطبيق على ارض الواقع فعلى الرغم من ادعاء بعض الأنظمة السلطوية على أنها تحمل أفكارا ديمقراطية والحقيقة انها مجرد افتراءات ولا تدخل الا ضمن الشعارات البراقة، والوعي السياسي في منطقة الشرق الاوسط غالبا ما تكون موجها من قبل من الأنظمة الحاكمة ولصالح النخبة الحاكمة.

وهكذا نجد ان للايدولوجيات إثرها في تعريف الوعي السياسي وان القول بان دور الايدولوجية قد انتهى فيه نوع من الغموض والالتباس. حيث مازالت الايدولوجية ترسم الكثير من الأحداث السياسية في الداخل والخارج، ففي بداية القرن الحالي بدأ نوع جديد من الأثر الايدولوجي في التوعية السياسية ولاسيما بعد إحداث (١١) سبتمبر في الولايات المتحدة فبالرغم من المقولة الشهيرة للأمريكي (فرنسيس فوكوياما) التي نشرت في مجلة ناشيونال انترست (National Interest) والتي احدثت ضجة عالمية بعنوان (هل هي نهاية التاريخ؟) حيث أشار الكاتب فيها إلى ان نهاية الحرب الباردة لا تمثل طياً لصفحة من تاريخ التطور السياسي للعالم فحسب بل هي في تصوره نهاية التاريخ بذاته.

(أي نقطة النهاية لتطور البشرية ايدولوجيا*، وانتشار الديمقراطية الليبرالية الغربية في العالم كله) ^(١).

فهذه الفكرة هي ذاتها أيدولوجيا ^(٢) وهي التي حاول الولايات المتحدة الأمريكية فرضها على العالم من خلال هيمنتها العسكرية. وان أحد الأسباب التي تعيق الهيمنة الأمريكية هو البعد الايدولوجي وأن الاختلاف في ثقافات الشعوب يصعب القضاء عليه. على سبيل المثال اليابان والصين اذ على الرغم من تطورهما الصناعي الا انهما ما زالتا محتفظتين بثقافتهما المحلية على الرغم تأثير الثقافة الغربية فيهم.

^(١) د. علي الدين الهلال - د. نيفين سعد - النظم العربية (قضايا الاستمرار والوحدة) - مركز دراسات الوحدة العربي ٢٠٠٠ - ص ١٥٠.

^(٢) الايدولوجية - مجموعة من الأفكار والمبادئ والمعتقدات التي تشكل نسقاً فكرياً يتضمن تقديراً لماضي الأمة وتحليلاً لواقعها الراهن.

هذه الإحداث الفكرية والسياسية على الساحة الدولية والمحلية تؤثر في مستوى الوعي السياسي لدى الأفراد في الداخل أي في الثقافة المحلية وكذلك في الخارج أيضا.

والوعي السياسي معرض للتغيير والتبديل وفقاً للواقع السياسي الديناميكي كونه يجري في حركة دائمة ومستديمة ففي كل فترة زمنية نجد أفكارا ومشاريع تطرح على شعوب العالم وتؤثر في وعيهم السياسي وهذا ما نجده في الفترة الراهنة حيث مفاهيم (الحرية - الحقوق الإنسان - الديمقراطية الإصلاح السياسي في الشرق الأوسط) وكل ذلك عبر مشاريع تطرحها الدول العظمى ومنه المشروع الأمريكي للشرق الأوسط الكبير وتداعياته على المنطقة سلباً وإيجاباً.

أهمية الوعي السياسي

إن أهمية الوعي السياسي في الفترة الراهنة يعد ضرورة إنسانية في ظل واقع صعب وميرير تمر به منطقة الشرق الأوسط حيث التخلف بالأمور السياسية ومفاهيمها وعدم المطالبة بحقوقهم، والهتافات والشعارات التي ترفعها الأنظمة الحاكمة في هذه المنطقة تعد تعبيراً واضحاً للواقع المتخلف الذي تعيشه مجتمعات الشرق الأوسط، وتكمن أهمية هذه الموضوع اي (الوعي السياسي) من خلال الحاجة إلى ذلك الوعي نظراً لارتباطه بالواقع الإنساني وهمومه ومشاكله، فالوعي السياسي يساعد على معرفة الأحداث التي تنتج ظروفها اعتيادية وغير اعتيادية في الداخل فضلا عن البيئة الدولية ودراستهما وتحليلها وما يجري عليها من تغيرات وتأثير تلك التغيرات والتطورات في الواقع المحلي للمجتمع والشعب.

وابرز النقاط في موضوع أهمية الوعي السياسي نلخصه بالاتي:-

١- قضية النهضة الحضارية: من المعروف ان الواقع الذي تعيشه مجتمعات الشرق الأوسط يتميز بالتعارض في بعض المصطلحات الأساسية، واصطدام ما هو قديم بما هو حديث إلى الاصطدام والتداخل بين الحديث والتقليد (وهنا يجب الاعتراف بان هناك أزمة حضارية تجعل هناك تعارضاً بين تحقيق الهوية وتحقيق الحضارة وبين التراث الوطني والحداثة الراهنة. وان التعارض يخلق انشقاقاً في الوعي المجتمعي) ^(١).

فالوعي هنا يساعد على النهضة الحضارية من خلال معرفة الأفراد بالظروف والتطورات ودور التكنولوجيا الحديثة في مجال التزويد بالمعلومات كل هذا يكون بمثابة سبيل الى الوعي السياسي باتجاه تطور المجتمع ونهضته. وان النهضة الحضارية والفكرية لايمكن تحقيقها دون الربط بين الوعي التاريخي والوعي بالامور التي يمر بها الافراد في الفترة الراهنة لان الخلفية الثقافية غالبا ما ترتبط بمعرفة الأحداث التاريخية وتحليلها تحليلا علميا ومن ثم بناء الخطط المستقبلية لها من حيث زرع المفاهيم المدنية في عقول الجيل الجديد لكي تمكنه من إحداث التغيرات السياسية

^(١) د. برهان غليون - اغتيال العقل - مكتبة مدبولي - ط ٢ - ١٩٨٧ - ص ٣٤٢.

والاقتصادية والاجتماعية المطلوبة في المستقبل لان بناء الوعي السياسي لا يمكن أن يتحقق في مرحلة وإنما يتطلب ذلك عدة مراحل لابد من توفيرها في سبيل النهوض بالواقع السياسي للمجتمع.

٢- إن الوعي السياسي العلمي يعمل على تحليل الأحداث بصورة موضوعية وعلمية بعيدة عن العواطف وتأثيرات البيئة والمبالغة في رصد عوامل التخلف، وكذلك رصد الايجابيات، حيث يساعد الوعي السياسي للمحيط الذي تعيش فيه الإنسان على تحليل الأمور السياسية من زوايا متعددة بحيث يعطي الواقع مشهداً علمياً وأكاديمياً يخدم الدارسين في هذا المجال، فالوعي بالواقع المجتمعي (يقلل من دور العوامل التآمرية) ^(١) أي، ان ما يحدث في واقعنا منذ عشرات السنين من التخلف والاستقرار السياسي يجعله حجة على الغرب باعتباره إفراساً سلبياً ومن المحاولات التآمرية علينا، فهذه النظرة تؤدي إلى قتل العناصر الرئيسة من المسؤولية الجماعية وتطوير خطط التغيير والتنمية الذاتية وتسيطر على روح الإرادة الفردية وتجعل الافراد في زوبعة من اللامبالاة والاعتماد على الآخر في كل شيء حتى في افكاره وهنا يكمن الخطر وهو عندما يعتمد لإنسان اعتماداً كلياً على الآخرين ولايفكر في إصلاح أموره بنفسه.

(تجنب الاعتراف بالمسؤولية الجماعية والسلبية والنواقص العامة للمجتمعات والقطاعات السياسية المختلفة في الممارسة والتعاطي والأداء السياسي العام والرسمي شعبياً ورسمياً ^(٢)).

فكما هو معروف فإننا نعاني من وجود وعي سياسي مزيف وحتى إذا وجد فذلك الوعي إما مدافع عن ممارسات السلطة بما فيها من احتكار واستبداد نظراً للانتهازية السياسية لدى البعض أو ان لم يكن ناطقاً باسم السلطات الاستبدادية في الشرق الأوسط فهم مدعومون من قبل السلطة بشكل أو بآخر، نظراً لتخلف المجتمع المدني ومؤسساتها المتعددة والمختلفة، وأهمية الوعي السياسي هو إعادة

^(١) محمد جابر الأنصاري - العرب والسياسة أين الخلل - دار الساقي - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٨٨ - ص ٦٥.

^(٢) نفس المصدر - ص ٦٨.

ترتيب وصياغة الأفكار والمعتقدات التي سادت في حياة الشعوب في البلدان المتخلفة خلال العقود الماضية وما تزال عن طريق نشر المعرفة وثقافة الحوار وقبول الآخر.

٣- عن طريق الوعي السياسي يحدد دور الدولة ومؤسساتها في التعامل مع القضايا الحيوية التي تحدث في داخل المجتمع وان الوعي السياسي الموجود لدى الأفراد غالباً ما تقيّد حركة الدولة ولا تسمح لها بان يعمل بشكل مطلق في الساحة الداخلية وحتى على المستوى الدولي. ونرى تلك النماذج بصورة واضحة وجليّة في البلدان المتقدمة والبلدان التي يرى (الرأي العام) فيها دوره في صياغة السياسات والممارسات السياسية. إلا اننا نرى في الواقع الشرق أوسطي بان الدولة هي الكل والجزء في الوقت نفسه وأن الأفراد ينظرون ما تصدره الدولة عليهم لتنفيذه دون دراسة القرارات والممارسات السياسية للسلطة الحاكمة، والوعي السياسي في هذه الحالة له أهمية بالغة وذلك من اجل إخراج المجتمع من الانغلاق والجمود والسيطرة الشمولية للدولة في حياة المواطنين ^(١). وان السياسات الحكومية تتأثر برأي الشارع إلى حد بعيد ونرى ذلك بصورة جلية في الحركات الاجتماعية والسياسية التي تقوم بها الجمعيات والنقابات في البلدان المتقدمة وحين يشعر المواطن بحقوقه الطبيعية لابد من العمل من اجل الحصول على تلك الحقوق بصورة الرأي وتفعيل دور الشارع في المطالبة بحقوق العامة.

٤- ان الوعي السياسي يساعد في القضاء على الاستبداد السياسي الذي يعد من أهم المشاكل واطّطر الأزمات التي يمر بها الشرق الأوسط اذ يعد الاستبداد السبب الرئيسي وراء التخلف في المجالات الأخرى: الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية.. الخ وهي من الأزمات الموجودة في الشرق الأوسط وان أفضل طريقة للتخلص من الاستبداد والقمع هو عن طريق معرفة الشعب لما له وما عليه، أي لحقوقه وواجباته وليس معرفة ما عليه فقط دون التفكير فيما له، وان الشعوب المتقدمة قد تغيرت وتطورت نتيجة لنمو الوعي السياسي لديهم اذ تحولت الدول الأكثر

^(١) ان حال الجمود الذي نراه في المنطقة هي نتيجة تعبئة هذه المجتمعات من قبل السلطة الحاكمة. بما يخدم أهداف النخبة الحاكمة لذلك يتصف الواقع في هذه المنطقة بالجمود والفكر بالانغلاق.

عداوة في الشرق إلى حلفاء في مسائل الحرية والديمقراطية وغيرها من المسائل المتعلقة بحريات الأفراد والجماعات.

وأهمية الوعي السياسي بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط يعد من ضرورات الحياة في هذه المنطقة وذلك لان تكوين وعي سياسي شعبي حول الأحداث والقضايا المصرية الحيوية تساعد على تطوير هذه المجتمعات ومهمل الطريق أمام مؤسسات المجتمع المدني للعمل في داخل تلك المجتمعات. وهذا يحتاج إلى جهود متواصلة ولا يمكن ان يحدث التغيير على مستوى الوعي عن طريق خطب أو كتابة وإنما لابد من وجود برامج علمية ومنطقية مدروسة تعمل على تحقيق تلك الهدف.

(حيث ان المهم ان تفكر في كيفية وصول الأفكار التغييرية إلى هذا العدد الهائل من الناس، وكيفية متابعة تأثيرها ومراقبتها وتوجيهها، وهذا في الحقيقة لا يمكن ان يتم إلا عن طريق وجود مؤسسات متخصصة توجه جوانب الحياة كافة) ^(١).

وفي المجتمع العراقي اليوم يمارس هذا الدور مؤسسات المجتمع المدني التي تشكلت بعد انهيار النظام العبثي وان هذه المؤسسات تمثل حلقة وصل بين السلطة الحاكمة والشعب، وان توصيل المعارف المتعلقة بالمجتمع المدني والحرية الفكرية والحريات العامة إذا ما تم إيصالها بصورة علمية إلى المواطن عندها يمكن للمواطن أيضاً أن يعبر عما يريده على وفق القنوات المتاحة له وان التغيير المجتمعي لايتحقق فقط بالمؤسسات أو فئة معينة وإنما يتطلب جهودا استثنائية من قبل الجميع وان السلطة السياسية تحمل مسؤولية اكبر بوضع استراتيجيات وخطط هادفة وذلك من خلال نشر مناخي الحرية والتعبير عن الراي وتطوير مناهج الدراسة بشكل ينسجم مع الواقع الحياتي الحديث والمتسارع. ومن الممكن أن نستفيد من الوسائل الحديثة في الاستفادة من الوعي السياسي وزيادة دوره في المجتمع ونخلص بذلك من الجمود الذي طال مدته في الشرق الاوسط وان الألوان قد حان لكي ندرّب الفرد الشرقي على المفاهيم الحية التي تودي إلى إحياء المجتمع واستقراره ورفاهيته وتثقيفيه.

^(١) د. عبد الكريم بكار - تجديد الوعي - دار القلم - دمشق - ط ١ - ٢٠٠٠م - ص ٢١٦.

الفصل الخامس

العوامل المؤثرة في الوعي السياسي

طرق اكتساب الوعي السياسي

إن الوعي هو محصل عمليات ذهنية وشعورية معقدة، فالتفكير وحده لا يتفرد بتشكيل الوعي، فهناك الحدس والخيال والأحاسيس والمشاعر والإرادة والضمير، وهناك المبادئ والقيم ومرتكزات الفطرة وحوادث الحياة والنظم الاجتماعية، والظروف التي تكتنف حياة المرء، وهذا الخليط الهائل من مكونات الوعي يعمل على نحو معقد جداً لاكتساب الوعي السياسي حول كل ما يدور في البيئة الانسانية من أحداث وظروف سياسية متسارعة وديناميكية من وقت لآخر.

(ان تراكم مادة كبيرة في دراسة الأساطير والرموز والطقوس الدينية هي الأخرى عملت كمكونات لاكتساب نوع معين من الوعي بالتطورات اللاواعية واتاح مستوى النتائج العملية إمكانية استخدامها في دراسة المجتمعات القديمة وفي دراسة العمليات السياسية في الجوانب المتعلقة بقدسية وغيبية الظواهر الاجتماعية وتأثير وسائل الإعلام على الوعي السياسي) ^(١).

وان أهم السبل والوسائل الكفيلة باكتساب وعي سياسي عقلائي بحيث يكون لديها القابلية على تحليل الأحداث تحليلاً موضوعياً وأكاديمياً تتمثل في مؤسسات التنشئة السياسية والطبيعية السوسيولوجية للمجتمعات البشرية، ومن اجل التعرف على طرق اكتساب الوعي السياسي نوضح دور نوعين من مؤسسات التنشئة السياسية - الأولية منها، والأساسية ونبدأ بالمؤسسات الأولية.

- المؤسسات الأولية: ونركز على المؤسسات الأولية التي لها الدور البارز في التوعية السياسية للأفراد. ونقسمه كالتالي:

العائلة:

العائلة (الأسرة) تعد النواة الأولى في تلقي البيئة السياسية حيث يبدأ الطفل باكتساب الوعي بنفسه ككائن حي له مقومات الذاتية وكذلك اكتساب الوعي السياسي بالوسط الاجتماعي الذي يحيط به ^(٢).

^(١) من الانترنت - www.google.com، اندرية نيقولا نيفش - ميثولوجيا السياسة - ٢٠٠٥/٢/٦ م.

^(٢) د. صادق الأسود - علم الاجتماع السياسي - بغداد - ١٦ - ١٩٩٠ ص ٤٣٨.

والتنشئة السياسية في مرحلة الأسرة هي في الحقيقة محاولة لإدخال في ذهن الطفل للتعرف على الواقع السياسي بشكل بدائي وبسيط من خلال التعرف على رموز السلطة وبعض الأمور المتعلقة بالسياسة، من دون ان يكون لذلك الطفل أي تحفظات مما يجده في الواقع من الأمور السياسية والأحداث والظروف.

فقد أكد عالم الاجتماع الفرنسي (دوركاييم) على دور الوالدين والأسرة في تنشئة الطفل السياسية، وذلك لان جميع المكونات الثقافية الأولى تكون من الأسرة والوالدين، فالعائلة هي البداية الأساسية والأولى للبنية السياسية للطفل وهذا يتضح في علم النفس السياسي لدى الأطفال وهناك أربعة مراحل ضرورية في حياة الطفل السياسية يشير إليها (دايفيد ايستن) ^(١).

١- مرحلة التسييس - (Politisisation) :- حينما يشعر الطفل بوجود عالم سياسي ومواقع سياسية في محيطه الاجتماعي.

٢- مرحلة الشخصية - (Prersonnalisation):- حيث يدرك الطفل من خلال تعرفه على بعض الوجوه السياسية و التي تكون بمثابة نقاط اتصال مع النظام، ونرى هذه المرحلة بصورة واضحة وجليّة في منطقة الشرق الأوسط حيث يولد الطفل وحين ينشأ و يدرك يرى الزعيم على السلطة وقد يصل الطفل إلى سن العشرين أو أكثر من عمره وهو مع نفس الزعيم ونفس الأسلوب في تلك السلطة.

٣- مرحلة تصوير وتكوين قيم محددة (Idealistion):- عندها ينظر الطفل للسلطة من خلال بعض وجهات النظر التي كونها عنها كأن تكون مقبولة لديه أو يرفضها شعورياً وعملكه بردود فعل معينة مرضية أو غير مرغوبة فيها.

وبعد هذه المراحل أو في المراحل اللاحقة يحقق الفرد نوعاً من الاستقلال في آرائه حول الأفكار والمعتقدات الموجودة في محيطه الاجتماعي والسياسي إلا أن المجتمعات النامية غالباً ما تشهد السلطة الأبوية المطلقة وذلك بفرض رب الأسرة نوعاً معيناً

^(١) د. إحسان محمد شفيق العاني - الملامح العامة لعلم الاجتماع السياسي- مطبعة جامعة بغداد ١٩٦٨٠ - ص ١٢٧.

من المعتقدات في ذهنية الطفل، أي إن الأب كيف يفكر يجب إن يفكر الولد مثله وهذا الامر يعد أحد الإفرازات السلبية للاستبداد السياسي في المنطقة وهذا ما يجعل الأب متحفظاً حول المعتقدات السياسية لإفراد أسرته، ومن خلال تقدمه في العمر أي الوصول إلى عمر المدرسة وعندها تبدأ المرحلة الثانية من التوعية السياسية للطفل.

المدرسة:

تعد المدرسة عاملاً آخر من عوامل التنشئة السياسية التي تساهم في اكتساب الوعي السياسي ضمن المؤسسة الأولية للتنشئة السياسية، وللمدرسة دور هام في تنشئة السلوك السياسي للفرد بعد (العائلة) حيث تمثل دور المدرسة في صياغة الأفكار والاتجاهات الموجودة في المجتمع من خلال وسائلها وأدواتها المعروفة.

وقد أكد عالم السياسة الأمريكي (ماريام) على دور المدرسة باعتبار المدرسة النظام التربوي الرسمي التي تقوم بعمليات التدريب المدني، وإن التلاميذ يكتسبون أولى عمليات التنشئة من خلال المدرسة.

(فالمدرسة هي التي تعمق من شعور الأفراد للانتماء إلى المجتمع وتساهم في بناء شخصية الطفل وتثقيفه عن طريق فهم العادات والتقاليد وتجعله عضواً مشاركاً في المجتمع) ^(١).

وللمناهج الدراسية والكادر العلمي والطلبة أثرهم على اكتساب الوعي السياسي، وإننا نشهد أزمة تخلف المناهج الدراسية فضلاً عن تخلف الكادر العلمي تخلفاً فكرياً وثقافياً. ويتطلب لجعل المدرسة منبرا لتعليم الفرد المفاهيم المدنية جهود مشتركة من قبل الكادر العلمي من المدرسين وكذلك السلطة السياسية التي ترغب في الانفتاح السياسي.

الجامعة:

إن الجامعة هي أهم مؤسسة لإنتاج الكوادر والأفكار وتطوريهما وكذلك توليدهما وللجامعة دور حيوي وبارز في حياة المجتمعات البشرية وقد قامت الجامعات بهذا الدور الفعال في البلدان المتقدمة من خلال مشاركة الجامعات في صنع القرار

^(١) د. أحمد جمال ظاهر - دراسات الفلسفة السياسية - دار الكندي - أردن - الطبعة الأولى - ١٩٨٨ - ص ٤١٢.

السياسي للمجتمع، وعادة ما كانت الجامعات بمثابة قوة ضغط على الحكومة من خلال تقييد بعض ممارستها السياسية، وتمارس الجامعة دورها الإيجابي إذا ما تم الربط بين المعرفة والإنتاج، أي: ربط الجامعة بهيوم ومشاكل المجتمع والعمل على تثقيف المواطنين ووضع الخطط والبرامج التنموية والعملية ومراكز الأبحاث التي تعمل على زيادة الوعي السياسي ونشره بين الطلبة والمجتمع، ويظهر دور الجامعة في اكتساب الوعي السياسي من خلال اهتمامات الجامعة بالإحداث والظروف السياسية التي يمر بهما المجتمع، وخاصة في العلوم الإنسانية. وهناك أمثلة في واقعنا الشرق أوسطي على دور الجامعة في التوعية السياسية والعمل السياسي، منها على سبيل المثال مشاركة طلاب جامعة السودان في تغيير الحكومة، فضلا عن مشاركة الطلاب الجامعيين في الثورة الإسلامية في إيران. وان الجامعة يجب أن لاتنفصل عن المجتمع وإنما يجب عليها أن تنسجم مع المجتمع وتتعرف على المشاكل التي تحدث في الواقع وتحاول جاهدة إيجاد الحلول الكفيلة لها وفقا لواقع الناس وهمومهم الحياتية.

هذه بالنسبة للمؤسسات الأولية من حيث دورها في اكتساب الوعي السياسي، وهناك مؤسسات أخرى أساسية لها الدور على اكتساب الوعي والتوعية السياسية للإفراد ومنها: (الأحزاب السياسية -جماعات الضغط- وسائل الاعلام).

أ- الأحزاب السياسية:

لاشك في ان للأحزاب السياسية درواهم في اتجاهات السياسة لدى الأفراد، وبطبيعة الحال فان دور الأحزاب مثل المؤسسات الأخرى (كالجماعات الضاغطة- ووسائل الاعلام..) يختلف باختلاف المجتمعات ففي المجتمعات المتخلفة يرتبط حياة الأفراد الحزبية إلى حد الاعتماد الكامل، وهذا ما لا نراه في المجتمعات الأخرى، ففي المجتمع الأمريكي على سبيل المثال نرى الولاء الحزبي مرنا وذلك على وفق مستوى الوعي السياسي لدى الفرد الأمريكي (فلا تتعجب إذا ما تحول خلال فترة وجيزة احد الجمهوريين إلى الديمقراطي أو بالعكس، وذلك التحول لا يؤدي إلى التصفيات الجسدية كما نرى ذلك في المجتمعات المتخلفة) ^(١).

^(١) زيرفان سليمان - مقال بعنوان (الانتخابات الأمريكية - وعقدة العراق) المنشورة في جريدة الأفق العدد (٦٠) - ٢٠٠٤م ..

وغالباً ما تكون الأحزاب السياسية أدوات للتوعية السياسية في الفترات الأولى من التنمية السياسية، ففي المجتمعات المتقدمة يكون دور الأحزاب ضئيلاً بالنسبة للتوعية السياسية وغالباً ما تكون الاتجاهات التي تغرسها الأحزاب في الدول المتقدمة منسجمة مع القيم التي تغرسها العائلة والمدرسة، إما في البلدان المتخلفة فتسعى الأحزاب إلى غرس قيم غالباً ما تكون مختلفة عن القيم التي تلقاها البالغون في طفولتهم حيث يقتصر التغيير والتطور على الأحزاب فقط في تلك المجتمعات.

(ففي النظم المتقدمة حيث تقوم مؤسسات أخرى بدور التوعية فالحزب يضطلع بمسؤولية عقد الاجتماعات وتنظيم أعياد الاستقلال وأعياد الميلاد وللقادة القوميين) ^(١).

والأحزاب في منطقة الشرق الأوسط تساهم بدور بارز في صياغة المفاهيم والأحداث السياسية، وذلك لأن هذه المجتمعات تعد مجتمعات نخبوية أي أن هناك نخبة حاكمة تقود المجتمع نحو فهم معين وأسلوب معين من السلطة. وتحليل معين للقضايا السياسية التي تحدث في المحيط المحلي والدولي، لذا يعد هذا الدور للأحزاب دوراً سلبياً إلى درجة ما وذلك لأن هذه الحالة تتيح الاستغلال واحتكار الأفكار في المجتمع.

على أية حال إن للأحزاب الدور البارز وفي بعض الأحيان الدور المساعد على اكتساب الوعي السياسي تبعاً لاختلاف الأحزاب واختلاف المجتمعات التي تعمل بها تلك الأحزاب السياسية.

ب- جماعات الضغط

والمؤسسة الأخرى التي تساهم في اكتساب الوعي السياسي تجاه القضايا التي يمر بها المحيط أو البيئة الاجتماعية للإنسان تمثل في جماعات الضغط ووعي هذه الجماعات حول قضية معينة واتجاه معين غالباً ما تنسجم القضية أو الاتجاه مع مصالح الأفراد الذين يشكلون جماعات الضغط (اللوبي).

^(١) د. إسامة لغزالي حرب، الأحزاب السياسية في العالم الثالث - عالم المعرفة - مطابع الرسالة - الكويت - ص ١٨٢ - سلسلة (١١٧).

وظاهرة جماعات الضغط ظاهره قديمة، غير أنها لم تبرز بشكلها المميز في الحياة السياسية إلا قبل بضعة عقود من السنين في الولايات المتحدة الأمريكية ومنها عرف هذا الاصطلاح وشاع في البلدان الأخرى^(١)

وجماعات الضغط عبارة عن مجموعة من الأشخاص تربطهم روابط وعلاقات خاصة ذات صفة دائمة ومتواترة بحيث تفرض على أعضائها نمطاً معيناً من السلوك الجماعي وطريقة التأثير لجماعات الضغط على اكتساب الوعي السياسي تظهر من خلال الوظيفة التي تقوم بها الجماعات الضاغطة ألا وهي التأثير المباشر والتأثير غير المباشر في الحكومات وذلك يؤدي إلى فرض نوع من السلوك والوعي السياسي على الأفراد الذين ينتمون إلى تلك الجماعات، والتأثير المباشر لجماعات الضغط تتضمن المواقف التي تتخذها تلك الجماعات إزاء القضايا السياسية المطروحة على مختلف المستويات وذلك بإرسال وفد إلى الحكومة، وأيضاً يجري عمل تلك الجماعات في الخفاء حيث تمول الحملات الانتخابية لصالح جماعات الضغط، وذلك بدفع تمويل الانتخابات من أجل وصول أحد المؤيدين لمصالح جماعات الضغط إلى دفعة (كرسي) الحكم.

وبطبيعة الحال يختلف دور وتأثير جماعات الضغط على تكوين الوعي السياسي باختلاف المجتمعات البشرية كما هو الحال في الأحزاب السياسية، فمثلاً نرى أن الدور الذي تقوم بها جماعات الضغط في البلدان الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية غالباً ما تكون أدوار مدنية عن طريق فرض بعض الالتزامات الاقتصادية والاجتماعية أو السياسية على الحكومات عن طريق الشركات ومؤسسات الإعلام والنقابات، أما في بلدان الشرق الأوسط فلا تزال دور جماعات الضغط غير واضحة وإن وجدت تلك الجماعات فأنها غير فعالة وتقليدية فنرى أن جماعات الضغط تقتصر على رؤساء العشائر أو ما يسمى بالشيوخ، والحالة العراقية أكبر دليل على ذلك حيث تلى سقوط بغداد والنظام البعثي ظهور دور أكبر لرؤساء العشائر في العملية

(١) د. صادق الأسود - مصدر سبق ذكره - ص ٢٧٦.

السياسية في العراق وبدأوا يمارسون الضغط على الحكومة الجديدة والنظام الجديد، فضلا عن محاولة تلك العشائر إلى الانسجام مع المفاهيم العصرية كالديمقراطية وحقوق الإنسان لغرض الحصول على النفوذ في السلطة السياسية. وان دور جماعات الضغط من حيث تأثيرها في الوعي السياسي يرتبط بالدور الذي تلعبه هذه الجماعات من خلال تأثيرها على العمليات الانتخابية وصنع القرار السياسي في هذه البلدان وتعد الولايات المتحدة النموذج الحي على ذلك وان هذه الجماعات لا تسعى للوصول إلى السلطة وإنما فقط التأثير في شخوص السلطة بما يخدم مصالح تلك الجماعات المحلية والبعيدة.

ج- وسائل الإعلام:

ان وسائل الاتصال في عصر الفضائيات وشبكات المعلوماتية قد غزت العالم ببرامجها وعروضها حتى تحول العالم إلى قرية كونية، بحيث يطلع أهالي الجنوب على أخبار أهالي الشمال بنفس الوقت وبسرعة هائلة فاقت التصورات البشرية في بداية القرن الحالي فتدفق الصور والرموز الثقافية على هذا النحو العجيب اتاح للناس مقارنات ثقافية غير مسبوقة، فقد صار في العالم كل واحد يستطيع تلمس موقعه موقع بلده بين أمم الأرض، مما أدى بالتالي إلى تداخل ثقافي بين شعوب المعمورة، وهذا ما يساعد على الإطلاع الواسع والسريع على الأحداث السياسية والظروف الدولية وتكون بذلك نوع من الوعي السياسي العالي للإحداث المثيرة على الساحة الدولية، فضلا عن الوعي السياسي لكل شعب من شعوب المنطقة بالإحداث والأمور الداخلية المتعلقة بسياسات حكوماتهم.

وان وسائل الإعلام باعتبارها طرق لاكتساب الوعي السياسي تختلف باختلاف أنواعها ومصدر تلك الوسائل، ففي داخل الأنظمة الشمولية تكونت كل وسائل الإعلام بيد الحزب الحاكم أو السلطة المنفردة بحيث يفرض إرادته على أفكار العامة، على عكس ما نراه في المجتمعات الديمقراطية حيث تفرض وسائل الإعلام آراءها وإرادتها على الحكومات وسياساتها.

و يشير تود جتلن - Todd Gitlin - إلى مزايا وسائل الإعلام ومضارها بالنسبة لحركات الاحتجاج الاجتماعية التي تنادي بالتغيير السياسي الجذري^(١).

وهكذا فإن التغطية الإعلامية تؤثر في الأفراد ويكون لديهم توجهات وآراء حول مختلف المفاهيم والأحداث السياسية، وما دمنا نعيش اليوم عصر المعلوماتية فإن هذا الدور معرض للتطور والتوسع وهكذا نجد في عالم اليوم تعدد وتنوع طرق اكتساب الوعي السياسي واتساع المؤثرات التي تسهم في تنمية الوعي السياسي على المستوى الكوني (العالمي) والمحلي. أما كيفية تحقيق ذلك وإبعاده سلباً وإيجاباً فهذا أمر آخر. فالبعد السلبي في تشكيل الوعي السياسي غالباً ما نراه في الأنظمة الشمولية التي تعتقل فيها الكلمة وينعدم فيها الرأي وإن الإعلام موجه لدرجة تؤثر في عقول الأفراد وتوجههم نحو نوع معين من الأفكار والمعتقدات وذلك من خلال الوسائل التي تمارس من خلالها الحرب النفسية والدعاية الموجهة وتستغل وسائل الإعلام المرئية والمسموعة لذلك الغرض لذا فإن أي تظاهرات من قبيل الوعي السياسي يكون مزيفاً أو موجهاً.

وإن الإعلام في الوقت الراهن يمارس دوراً أكبر من حيث تعدد الوسائل كالشبكة العنكبوتية وتحويل العالم إلى قرية صغيرة لذا أصبح بإمكان الأفراد الذين يعيشون تحت نير الاستبداد من التعرف على العالم الواسع واقتناء الأفكار الحرة من خلال الانترنت والأقمار الاصطناعية. وهنا لابد من الفرق بين الأثر الذي يجلبه الإعلام العالمي في اكتساب نوع من الوعي السياسي، فالإعلام العالمي اليوم يؤثر بصورة واضحة في تفكير الشعوب نظراً لسرعة التنقل في المعلومات بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ويتجلى هذا الأثر بقوة في المجتمعات النامية والمغلقة وذلك لكون الأفراد في هذه المجتمعات تقيم الأحداث السياسية من زاوية ردود الأفعال الآنية والمرحلية دون التفكير في العواقب والآثار التي تفرزها الظروف السياسية المتنوعة لذا نرى بأن الظواهر التي تعبر عن الوعي السياسي كالمظاهرات والمطالبة بالتغيير غالباً ما تكون مرحلية ويتلاشى في الوقت الذي رسمته الأنظمة الحاكمة في هذه البلدان،

^(١) دوريس اية جربير - سلطة وسائط الإعلام في السياسة - ترجمة د. اسعد أبو ليده - دار البشير للنشر والتوزيع - عمان
- ط ٢ - ٢٠٠ - ص ٢٧٧.

وأما الإعلام المحلي فإن أثره ليس بالمستوى المطلوب وإن مساهمته في توعية الأفراد توعية سياسية يكون مقتصرًا على المفاهيم التي تريد السلطة إيصالها إلى الشارع أو بشكل آخر ادلجة (فرض فكرة معينة على) الشارع وفق مصالح النخبة الحاكمة ولكي يمارس الإعلام المحلي دوره لابد من تفاعله مع هموم المواطن وتعبيره عما يتجة إليه الشارع أو الرأي العام الشعبي.

معوقات اكتساب الوعي السياسي

ان الكثير من جانب الموروث الثقافي والسياسي فضلا عن الحالة غير الصحية التي نراها في الفترة الراهنة في مجتمعات الشرق الأوسط قد أسهمت إلى درجة كبيرة على اعاقبة اكتساب الوعي السياسي الموضوعي والعلمي حول الأحداث السياسية التي تحدث في المحيط الداخلي وفي البيئة الدولية فهناك حالة ألالاستقرار السياسي والركود الاقتصادي والاستبداد السياسي والتخلف المعرفي والفكري وضعف الإنتاج القومي وانعدام خطط التنمية والتحديث والعيش في مجتمعات مغلقة حتى بات كمعتقلات كبيرة على شعوب المنطقة، وفي هذا المضمار نحاول ان نشير إلى ضعف أو عدم توفير المؤسسات التي تساهم في اكتساب الوعي السياسي في الشرق الأوسط، إضافة إلى وجود نوع من المقارنة بين بلدان تلك المنطقة.

فالمؤسسات الأولية - في التوعية والتنشئة السياسية المتمثلة في (الأسرة والمدرسة والجامعة) في هذه المنطقة لا تقوم بذلك الدور الذي يساعد على اكتساب الوعي السياسي.

-العائلة: فالعائلة التي تعد النواة الأولى في بناء شخصية الأفراد لكي تنسجم مع الواقع الذي نعيشه نرى فيها نوعا من الاستبداد فالأب والأخ الكبير يمارسان السلطة المطلقة على حساب الأفراد الآخرين فالشرق الأوسط يعاني من سلطة الأبوية حيث فرص الاوامر وإلزام تطبيقها في جو لا يتصف بحرية الرأي.

(فالعلاقات الديمقراطية. وإذا ما كانت العلاقة الأساسية للأبوية هي الخضوع فانها هنا المساواة في الأسرة، والاستقلال الاقتصادي هو الأساس لنشوء الديمقراطية في الأسرة) ^(١).

فالنظام الأسري يعاني من (الشخصية الاستبدادية) التي توجد بين الأفراد غير الواثقين من أنفسهم، والذين لم يفلحوا في تكوين شخصيتهم فنرى ان تحليل الأمور يكون إما بالسلب المطلق، أو بالإيجاب المطلق دون ان يكون هناك حد وسط في تحليل

^(١) . هشام شيراي - النظام الأبوي وإشكالية المجتمع الغربي - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٩٣

الأوضاع فالطاعة العمياء للسلطة والقيم والتقاليد الموجودة داخل تلك المجتمعات قد انعكست كلهن على مؤسسة الأسرة.

أما المدرسة: فهي الأخرى تعيش تحت تراكم المجتمعات ومخلفاتها السلبية، والفرد الذي عاش في جو عائلي استبدادي ينقل معه تلك القيم إلى داخل المدرسة ومن ثم تؤثر في الأفراد الآخرين، فضلا عن ذلك عدم وجود تخطيط علمي منهجي يحدد أهداف المدارس واستراتيجياتها في المنطقة، والأمزجة السياسية التي تكونت في المدرسة تختلف من شخص إلى آخر، فضلا عن اختلاف تلك الأمزجة أيضاً.

(وقد وضعت (ايزل) وحصر فيه الأمزجة السياسية بين محورين الأول - محور القسوة - اللين، والمحور الثاني هو اليمين - اليسار ^(٣)).

إلا ان هذه المعايير الأربعة قد تختلف حسب الطبقات الاجتماعية والأدوار التي يقوم به الأفراد داخل المجتمع.

والجامعة في الفترة الراهنة هي الأخرى تعاني من الانقطاع مع المجتمع ولا يوجد هناك ربط بين المعرفة والإنتاج، ولا تساهم الجامعات بذلك الدور في التوعية السياسية بالنسبة للطبقات العامة والتي تشكل الأغلبية في مجتمعات الشرق الأوسط ولأن نرى ان المجتمع في واد الجامعة في واد آخر، فضلا عن قلة المتطلبات والوسائل العلمية الحديثة بحيث تساعد الجامعات على اكتساب المعرفة الجديدة، فاعلَب جامعات المنطقة تعاني من قلة استخداماتها لمجال الانترنت، فهي الأخرى بدلاً من ان تكون عامل جذب واستقطاب تحول في أحيان كثيرة إلى عامل إعاقة تحت توجه السلطات الحاكمة وتوجيهها وإشرافها.

أما يخص المؤسسات الأساسية كالأحزاب وجماعات الضغط ووسائل الإعلام من حيث اساهمها في الوعي السياسي فهي تواجه في منطقة الشرق الأوسط معوقات بحيث تؤدي إلى عدم فعاليتها في توعية المجتمع والمساهمة في رسم ملامحه وتتحول في أحيان غير قليلة وبفعل صراعاتها إلى عائق لاكتساب الوعي.

^(٣) صادق الأسود - علم الاجتماع السياسي - مصدر سبق ذكره - ص ٣٠٥.

(فكرة القبول بوجود الآخر، وهي فكرة غير متجذرة في الممارسة السياسية العربية، فنحن خلال الرجوع إلى تاريخ العمل الحزبي في المنطقة العربية يتبين لنا ان الأحزاب قد ارتبطت في نشأتها بفترة الخضوع للاستعمار^(١)).

فضلا عن ارتباط واستمرار الحزب في هذه المنطقة بشخص المؤسسة أو ما يمكن تسميته بشخصية الأحزاب العربية.

فالأحزاب هي الأخرى لم تقم بذلك الدور الفاعل في توعية الجماهير توعية سياسية بحيث يكون ذات تأثير على صناع القرار والأوضاع السياسية، وخاصة أحزاب المعارضة التي تقتصر على وظيفة نشر الوعي السياسي بين أفراد الشعب.

وجماعات الضغط - هي الأخرى تتمثل في فئة الجيش أو العشيرة التي تعيش واقعاً متخلفاً بذاته ولا يمكن انتظار الدور من تلك الجماعات النفعية والمصلحية في المساعدة على نشر الوعي السياسي، على عكس جماعات الضغط الموجودة في الغرب وتوجه سياسات الحكومات فيها.

أما وسائل الإعلام: فعلى الرغم من الدور الذي تلعبه تلك الوسائل في المجتمعات المتحضرة من حيث الإسهام في اكتساب الوعي السياسي الشعبي ومعرفة الأفراد بمجريات الأمور السياسية بموضوعية دون التفات إلى مراقبة أو إرضاء الحكام، و الإعلام في الشرق الأوسط محتكر بيد النخبة الحاكمة وبذلك يكون أعلاما موجهاً لا يؤدي الدور الإيجابي المرجو منه، وهي الأخرى تعيش في أزمة السيطرة السلطوية والترويج للسلطة الحاكمة.

إلا ان هناك معوقات يلاحظها الباحث من خلال دراسة الواقع السياسي الذي يعيشه الشرق الأوسط، وتلك المعوقات هي التي تعيق سبل الوصول إلى الوعي السياسي الأكاديمي والعلمي، و يمكن تقسيم ابرز تلك المعوقات الى:

^(١) د. هشام شرابي - مصدر سبق ذكره - ص ١٧٦.

١- المعوق الفكري:

ويرتبط هذا المعوق بانقسام هذه المجتمعات إلى معسكرين فكريين متضادين، حيث ترتبط كل طائفة بالنوع الخاص من التفكير الذي ينسجم مع رأيه وفكرته دون النظر إلى نقاط الالتقاء والتفكير بمشاريع النهضة، فقد كانت هذه المنطقة بمثابة ساحة للنزاع بين الأيدولوجيات المختلفة امتداداً من زمن الاستعمار وانتهاءً بزمن الزعامات والأطراف السياسية التي تلت الاستعمار واحتكرت شرعية الثورة للسيطرة على المجتمعات.

(صورة الصراع الحاد بين دعاة الحداثة والتحديث، ودعاة الأصالة والعودة إلى الجذور، ويكاد النقاش ان تشق المجتمع العربي إلى طريقتين للقاء بينهما، بل ان يشق الوعي العربي أداته على نفسه في صراع ذاتي دائم يمنعه من أية حركة ايجابية ويغلق عليه التغير) ^(١).

وهنا كان لابد على القوى التي حكمت المنطقة من جعل الممارسة السياسية ممارسة تداولية بين جميع الحركات والأفكار التي دخلت الساحة بعد فترة التحرير، وذلك للتعرف على التطبيقات المختلفة لتلك الأفكار وبالشكل الذي يخدم المصلحة العامة، ولكن ذلك لم يحدث وإنما عملت الأطراف التي وصلت إلى دفة الحكم على حماية كراسي الحكم واحتكارها لأنفسهم عن طريق قانون القوة وليست بقوة القانون. وكذلك مارست الانغلاق الاقتصادي وقصر الموارد بيد السلطة الأمر الذي جعل من المجتمع مجتمعا استهلاكياً يقر كل ما تقرره السلطة الحاكمة.

٢- المعوق السياسي (وهو الاستبداد السياسي):

أما النقطة الأخرى من معوقات اكتساب الوعي السياسي، فهو الفهم الخاطئ لمصطلح السياسة وكل ما يرتبط بهذا المفهوم من معان وممارسات. حيث هناك خلل في الفهم والتخوف من السياسة وعدم الاهتمام بها نظراً للواقع السيئ الذي خلقت له السلطات السياسية التي حكمت المنطقة بالنار والحديد خلال العقود التي مضت وما تزال الأوضاع تسير على نفس الوتيرة من حيث التخلف بالسياسة والاستبداد السياسي.

^(١) د. برهان غليون • اغتيال العقل - بيروت - مكتبة مدبولي - ط١ - ١٩٨٧ - ص ٣١.

(ان الشباب والمراهقين لم يعودوا يهتمون بالسياسة وإنما بنجوم الغناء العالمية ونجوم كرة القدم ولا يعرفون شيئاً تقريباً عن تاريخ بلدهم ومؤسساته) ^(١).

فالاهتمام اليوم غير موجه نحو الأمور السياسية والتنموية الفكرية وإنما هي مركزة على الأمور السطحية واليومية دون ان يكون هناك أية مشاريع في سبيل تخلص المجتمع من هذا القوقع وخاصة جيل الشباب باعتبارهم سواعد المجتمع وقوته الفعلية.

٣- الجمود وعدم التفكير بالتغيير الإيجابي :

والنقطة الأخرى البارزة في مسألة المعوقات التي تواجه الوعي السياسي هي الاتكالية، وعدم التفكير بالتغيير، وإهمال العوامل الذاتية التي أدت إلى هذا الجمود، ووضع الوم على الأطراف الخارجية والاستعمار على انتاج هذا الواقع المتردي. صحيح ان لهذا الواقع امتداداً لبعض الخطط والممارسات الشنيعة للاستعمار إلا ان هذا لا يعني الاستسلام و عدم التغيير وتطوير الذات.

(ابرز دور العوامل التآمرية الدولية، أو الانحرافات التسلطية للهيئات الحاكمة) ^(١).

فقد تعودت مجتمعات المنطقة برمتها على الحديث عن العوامل الموضوعية والمكاييد الغربية والشرقية. والادعاء ان كل ما يتعرض له الإنسان الشرق أوسطي هي من افرازات الاستعمار والقوى الخارجية، ونسوا ذاتهم ولم يقوموا بتدريس جميع جوانب حياتهم خاصة المعوقات الذاتية أمام تطور الإنسان وإمام النهوض الموضوعي والأكاديمي.

كل هذه العوامل وغيرها تشكل عوائق دون اكتساب الوعي السياسي الذي يسهم بدوره في عملية البناء والتقدم والتنمية والاستقرار وأدت هذه المعوقات إلى عرقلة التحولات الاجتماعية والسياسية، فضلا عن ثقافة الشكوى التي أصبحت تجتاح المجتمعات النامية فالكل يصف لك المشكلة من كل أبعادها ولكن قلما تجد فئة مهتمة بحل تلك المشاكل أو أسباب التخلف والجمود، وتظهر هذه الحالة نتيجة عدم التخصص وادعاء الافراد بالمعرفة المطلقة والتدخل في الشؤون التي لا تدخل ضمن

^(١) هشام جعيط - أزمة الثقافة الإسلامية - مصدر سبق ذكره ص ٤٠.

^(١) د. محمد جابر الأنصاري - العرب والسياسة أين الخلل - مصدر سبق ذكره ص ٦٨.

اختصاصاتهم، وهنا لابد من العمل على القضاء على البعد التشاؤمي من ثقافتنا فبدلاً من انتظار الآخر كي يأتي ليرسم معطيات الحياة لنا لابد من التحرك الذاتي والإرادة الذاتية ومخاطبة الذات وتعويدهما على المفاهيم المدنية والثقافية، وبدأت اليوم عمليات التنمية البشرية في بعض المجتمعات وهذه العمليات يعد ضرورة ملحة في الوقت الراهن.

ونجد إن الوعي السياسي الوصفي منتشر بصورة سلبية بين النخبة المثقفة حيث يصفون لك الأحداث والمعطيات السياسية من باب الوصف فقط وهذا لا يمت إلى الوعي التحليلي بأية صلة فالتحليل والموضوعية يغيّران من مجرى الأمور السلبية وليس الوصف والمشاهدة السطحية.

الفصل السادس

الإعلام وتشكيل الوعي السياسي

الثورة المعلوماتية والحراك السياسي

إن هذا البحث يستغرق كل الثورة المعلوماتية وثورة تكنولوجيا المعلومات وثورة العولمة، ومن ثم أسر الوعي البشري المعاصر في اطار كل تلك المتغيرات ، فالأنترنت كآلية من آليات تكنولوجيا المعلومات بما تعنيه من كمبيوتر وما يتبعه من استخدامات لآليات البحث على صفحات الانترنت ، انما هو منظومة معلوماتية ايضا بما تعنيه هذه المنظومة من ثقافة وتجارة ومجتمع ، كما ان العولمة كما يقودها الانترنت نفسه كمنظومة معلوماتية وأداة سيطرة على وعي الشعوب ومحركات السلوك الفردي والجماعي ، انما هي اخطر زلزال تقع فيه البشرية اليوم ولا سابق له في التاريخ .

اذن فالبحث يحتاج الى مساحة معرفية واسعة بكل هذه الآليات والتقنيات والمعلومات وانعكاسها على تشكيل الوعي الجماهيري المعاصر وخاصة الوعي السياسي ، وبالتالي فإن أي بحث يحاول ان يغطي كل هذه المفردات والمساحات من معلوماتية الى تقنيات الى اغراق الوعي الانساني وشبكته العصبية تقود بالتالي الى سلوك مبرمج عبر النظريات النفسية وصولا الى البرمجة الكاملة التي تسود جميع هذه المعطيات العلمية والتقنية ، وكأنها هدف هذه الحضارة التي اطلق عليها البعض حضارة الحاسوب والانترنت هو اصطياد السلوك الانساني وتدجين الانسان ضمن سلوكيات تجارية وإعلامية واجتماعية ونفسية محددة .

لهذا السبب فإننا لا يمكن ان نغطي البحث بكل تفاصيله الا من خلال لغة حديثة تعتمد اللغة المركزة والتوصيف المختصر البليغ المعبر بأقل ما يمكن من الكلمات والجمل عن اعمق واكثر ما يمكن من الاسباب والنتائج ووجهات النظر.

ان اول عمل يمكن ان ندخل به هذا البحث الواسع هو التعريف بالمصطلحات التي سنستخدمها والتي قد تستغرق الاجابة على بعض تساؤلات البحث ، فمن يدخل هذا الوسط عليه ان يحدد معاني الانترنت ، المعلومات ، الوعي ، والعولمة ، وبدون تحديد هذه المعاني والمصطلحات لن نستطيع ان نبخر في هذا البحر الواسع من المعلومات وعصر العولمة وبرمجة السلوك عبر تشكيل الوعي .

الانترنت آلية معلوماتية وتقنية اتصالية

لو حاولنا ان نستعرض كل التعريفات التي عرفت بها شبكة المعلومات الدولية - الانترنت-لاستغرق منا مساحة كبيرة تتجاوز قدرة هذا البحث ومساحته المتاحة، علما ان لكل تعريف هدفا محددا حسب غاية المعرف ، لذا فإننا سنقف على بعض التعريفات التي تخدم البحث ، أي تعريفات ذات طابع معلوماتي اولا ، وذات طابع تقني ثانيا ، فماذا نجد لدى الباحثين في هذا المجال ؟

يعرف الخبير المعلوماتي الدكتور نبيل علي ظاهرة الانترنت كمنظومة من خلال المنظور الثقافي لها بقوله {الانترنت او شبكة الشبكات تحدث كثيرون -مفكرون واعلاميون وفنيون - عن الانترنت ، ذلك الماموث الشبكي الكبير ،ذي الفضاء المعلوماتي المتناهي الضخامة الدائم الامتداد والانتشار ، والذي يقدر عدد رواده بـ ٨٠٠ مليون نسمة بحلول عام ٢٠٠٤، انها تلك الغابة الكثيفة من مراكز تبادل المعلومات التي تختزن وتستقبل وتبث جميع انواع المعلومات في شتى فروع المعرفة ، وفي جوانب الحياة كافة من قضايا الفلسفة وأمور العقيدة الى احداث الرياضة ومعاملات التجارة ، ومن مؤسسات غزو الفضاء وصناعة السلاح الى معارض الفن ونوادي تذوق الموسيقى ، ومن الهندسة الوراثية الى الحرف اليدوية ، ومن البريد الالكتروني الى البث الاعلامي ، ومن المؤتمرات العلمية الى مقاهي الدردشة وحلقات السمر ، ومن صفقات بورصة نيويورك الى مآسي المجاعات والأوبئة في أرجاء القارة السوداء)^(١)

انها اذا تغطي كل مساحة المعرفة الانسانية ، وإقامة علاقة بين الانسان وعالمه وأشياءه ، أي انها بتعبير الدكتور نبيل علي اصبحت (نافذة الانسان ، يواجه من خلالها العالم على اتساعه بحيويته المتدفقة ودينامياته الهادرة ، وإشكالياته المتجددة المتشابكة والمتراكمة ، إن شبكة الشبكات هذه تعيد صياغة العلاقة بين الانسان وعالمه ، بين الفرد ومجتمعه ، بين ثقافة المجتمع وثقافات غيره ، لقد اصبحت الانترنت بكل المقاييس ساحة ثقافية ،ساخنة ، ووسيطا اعلاميا جديدا ، ومجالا للرأي العام مغايرا تماما لما سبقه)^(٢)

^(١) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص٩٢-٩٣

^(٢) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص٩٤

ولو استخدمنا صيغة التشبيه لتقريب بعضا من مفاهيم ومعاني الانترنت لقلنا انه حينما يدخل انسان الى مكتبة فيها ملايين الكتب فإذا اراد قراءتها لاستغرقته عمر البشرية كلها قبل ان يكمل قراءتها فكيف يستطيع التعرف على ما فيها من معلومات تعنيه ويحتاجها في حياته ووظيفته ومعيشته؟

هنا هي مكتبة المعلومات اللانهائية قياسا الى عمر الانسان ، فهو لا يستطيع ان يستفيد من هذه المكتبة على غناها إلا بآلية الفهرسة المكتبية المعروفة ليعرف على الاقل مكان كل علم او معرفة او تخصص ، ولكن حتى لو اختار التخصص ووجد مكانه فإنه سيجد آلاف الكتب فكيف يستطيع أن يتصفحها أو حتى على الأقل قراءة فهرسها ليحدد ما يريد منها ، انه لا يستطيع ذلك لان هذه الطريقة عشوائية اضافة الى مساحتها الكبيرة ، من هنا كان لابد ان يجد آلية تعرفه بسرعة فائقة على ما يريد استعراضه من مضامين هذه الكتب دون ان يمد يده لتصفحها وتقليب صفحاتها.

هذا التشبيه المقرب لعمل الانترنت والحاسوب الذي يشغل عليه ومن ثم الخادم الذي الذي يبحث له عن مفاتيح المعلومات والمعرفة التي يريدتها من هذا الكم اللانهائي من الكتب .لقد فتحت الانترنت المكتبة امامك لتتصفح ما تريد منها بسعة خارقة قياسا الى التصفح اليدوي والقراءة الميكانيكية .

ولو حاولنا ان نستعين بالارقام لقياس كم المعرفة والمعلومات المتوفرة اليوم مقارنة بعمر الانسان القاريء لوجدنا الصورة اوضح حيث تقول الارقام ما يلي

(يقول علماء المعلوماتية عن انفجار المعارف وفيضانها -ان مجموع المعارف ابتداء من السنة الميلادية الصفر قد تضاعف اول مرة سنة ١٧٥٠ ، ثم تضاعف سنة ١٩٠٠ ، ثم تضاعف سنة ١٩٥٠ ، ثم تضاعف سنة ١٩٦٠ ، ليأخذ هذا التزايد بعد هذه السنة منحى أسيا غير مسبوق في تاريخ البشرية ، ومعنى هذا ان العالم قد انتج من المعلومات خلال الثلاثة عقود الأخيرة فقط ما لم ينتجه طيلة خمسة آلاف سنة ، ومعناه ايضا أن قارئاً قادراً على قراءة ألف كلمة في الدقيقة يقرأ لمدة ثماني ساعات

يومياً ، يحتاج إلى شهر ونصف لقراءة إنتاج يوم واحد ، في الوقت الذي يجد نفسه قد تأخر خمس سنوات ونصف عن مواكبة إنتاج المعلومات (^(١))

اذن كان على الانترنت ان يقدم خدمته عبر الانتقال من الباحث البشري الى الوكيل الآلي الذي بعد ان اصبحت المعلومات اكبر من ان يحصيها احد انه الفيضان المعلوماتي الذي لا يمكن لاي قدرة بشرية طبيعية ان تستوعبها الا ان الانترنت يقدمها سهلة مبرمجة تتناسب وعمر الانسان ومدى قراءته { لقد فتحت الانترنت بوابات الفيضان المعلوماتي على مصاريعها ، لتصبح مشكلة الافراط المعلوماتي من اخطر المشاكل التي نواجهها حالياً ، وأصبح في حكم المؤكد استحالة التعويل على الوسائل البشرية وحدها لمسح الشبكة دورياً بحثاً عن المعلومات المطلوبة ، وكان لابد من أتمتة هذه العملية وذلك باللجوء الى ما يسمى بالروبوت المعرفي knowbot او البرمجي softbot بصفته وكيلآ يحال اليه القيام بهذه المهام الروتينية الشاقة.

ان الروبوت المعرفي هو -شغال- الانترنت المطيع الدؤوب الدائم التجوال بين ارجاء الشبكة لتنفيذ المهام الموكلة اليه والوكيل الآلي ليس الروبوت الغشيم بل له نصيب من الذكاء الاصطناعي يمنحه القدرة على التحليل والاستنتاج والتوقع ، وله أيضاً استقلالية في اتخاذ القرارات وفقاً للسلطات المخولة اليه ، وإقامة الحوار مع زملاء عشيرته ليعملوا كفريق عمل متكامل اقرب ما يكون الى عمل مملكة النمل (^(٢)).

لقد عانى الباحثون كثيراً من عدم القدرة على فهم وفقه معنى الانترنت وهو يعمل على إيصال كم المعلومات الهائلة في سرعة ضوء خارقة في برمجة ذكية ، حتى ان احد الباحثين وضع عنواناً فرعياً لبحثه سماه تعريفات الانترنت العالمية اللغات السريعة قال فيه { لا تحصى تعريفات الانترنت وشروحاتها الكثيرة فهي تشكل مادة العصر وتطبعه لا تعود لاحد بل للعالم كله ، توحد الجماعات وتفتح آفاق المعرفة وتنمي بساطة الحشرية ...وتفتح -النوافذ - مساحات اتصال واسعة كانت

^(١) في الثورة الاعلامية والمعلوماتية المعاصرة يعي اليحياوي عن الانترنت

^(٢) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص١٠١-١٠٢

غير مباحة من قبل تجعل المرء لا يعرف اين يحط الرحال وقد ينسى من اين جاء قبلًا... انها الشبكة المتحررة من كل العوائق والقوانين والشروط اللغوية ، انها مجانية وتدافع في المطلق عن حريات التعبير حتى الاتصال يتم بأسماء مستعارة اذا شئنا ، وتصبح الانترنت بهذا المعنى الواجهة التجارية العالمية للاتصال بالخارج ، وضعت حدا نهائيا لتاريخ المرسل في الاعلام وحتى لا يفرض فريق ثقافته واعلامه في وقت معين ،

هكذا ينتهي تاريخ الازدواجية بين الانتاج والاستهلاك ، ويتمكن أي فرد من تأسيس بنك معلومات خاص به يطرحه وفقا لمزاجه وأوقاته ومراميه ، والانترنت هو السوق العالمية والثقافية الواسعة ، ومكتبة العالم الخيالية وهو حاجة معاصرة وأهم تطور ثقافي منذ سيطرة الانسان على النار... لكنها سيطرة مستجدة تقتل لغاتنا المألوفة الجميلة وفي الوقت نفسه تجذبنا نحو لغات ومفاهيم اتصالية .

كان من المستحيل ايجاد ابرة في قفة من التبن وسقطت الصورة مع الانترنت حيث يمكننا ان نجد ما نريد تحت نقرة الفأرة تأخذنا الى ملايين المفاتيح الجاهزة ، كلمات تفتح نوافذ لا تنتهي من المعرفة ،

فالانترنت هي نهاية الجغرافيا والخلاص من محددات السجون التي طبعت الكرة والحدود ، وهي غزو العقول وتكييف المنطق وتوجيه الجمال وصنع الاذواق وقولبة السلوك ، وترسيخ قيم عالمية جديدة ، وهي التي تنقلنا من القبيلة الضيقة الى القبيلة البشرية الكبرى ، وتمنحنا الثقافة السريعة ، وتجعل بمتناولنا المعارض السريعة والفن والرسم والموسيقى ، وهي الملاذ الوحيد الواسع لديمقراطية المعرفة في الأمكنة والأزمنة كلها ومن دون قيود ، ويبدو انها التجسد الفعلي للقرية الاعلامية الالكترونية التي ردها الناس .. وانتظروا حلولها مثل الاحلام .

لقد باتت الانترنت من الوسائل الناجحة لتحقيق نزعات القوى الدولية نحو العالمية او الكونية ، وأظهرت بصورة جلية اقتصاد عصر المعلومات التي لا تنقص خلافا للموارد المادية بل تزيد مع تزايد استهلاكها)^(١)

^(١) الاعلام العربي وانهايار السلطات اللغوية ص٣٨٦-٣٨٧

لقد بدأ العصر يوصف بأنه عصر الانترنت للأثر الكبير الذي تركته هذه الشبكة على واقع الانسان اليوم وقد اعتبرها البعض اعظم ثورة بعد الثورة الصناعية حيث يقول احد الباحثين { يشهد العالم منذ ما يزيد على ربع قرن ثورة علمية وتكنولوجية فاقت في أهميتها وتأثيراتها ونتائجها ثورة القرن الثامن عشر الصناعية في اوربا ، هذه الثورة كان الاعلام الالكتروني والاتصال والمعلوماتية من ابرز مظاهرها ، فقد أكدت العديد من الدراسات ان شبكة المعلومات العالمية injernetion net wark هي أهم وأعظم ما أفرزته التطورات الهائلة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال tic والتي اسهمت في إحداث تأثير بالغ الأهمية في ظرف زمني قصير جدا لا في بيئة وسائل الاعلام والاتصال فحسب بل أيضا وبشكل جذري في جميع أنماط التعامل وأساليب التفكير والحياة ، كما يؤكد ذلك محمد العمر .. الانترنت أوجدت أنماطا لا للتواصل والعمل والتجارة فحسب ، إنما نمط جديد للحياة يفرض تحدياته على أنماط التقليدية التي ألفها الناس من قبل في كل شيء وأهم ذلك إمكانية الوصول الى بحر لاتعرف شواطؤه من المعلومات (¹¹) .

ويطلق الدكتور اجقو علي على الانترنت بانها ثورة ثقافية وليس مجرد ثورة تقنية حيث يرى ان من بين الاستخدامات التي برزت بشكل كبير منذ بداية ما يمكن تسميته عوامة الانترنت ما قامت به وسائل الاعلام المختلفة والتي استطاعت الاستفادة بدرجات متفاوتة من امكانيات الوسيلة التكنولوجية ، ويقارن بين وسائل الاعلام الاخرى كالراديو والتلفاز يبرز تطور ونمو هذه الشبكة حيث يرى ان المذيع احتاج الى ٨٣ سنة حتى اصبح لديه مليون مشترك ، بينما احتاج التلفاز الى ٥١ سنة ، في حين ان شبكة الانترنت لم تحتج سوى بضع سنوات ان لم نقل اربع لتخطي الحواجز .

ان العالم الثقافي والفكري والحضاري عموما الذي صنعته شبكة الانترنت اليوم يتجاوز المفردات البسيطة التي ينبيء عنها نقل المعلومات عبره الى حيث بدأ المجتمع كليا يتغير ، فأصبح مجتمعا انترنيتيا اتصاله يقوم على الشبكة بدون حضور مادي او لقاء حسي بل نبضات كهربائية تنتقل بين الجانبين ، بل ان فهم التراث نفسه تغير عبر هذه المعطيات الجديدة ، انه عالم جديد ومغاير كليا للعالم قبل الانترنت .

(¹¹) الصحافة الالكترونية العربية الواقع والأفاق ص ٢

يقول احد الباحثين في هذا المعنى (اضحت المعلومات من اهم مقومات البنى التحتية لصناعة ثقافة الخطاب الصحفي بعد ان عصفت تقنيات المعلومات ونسيج الانترنت بجل مفردات المنظومة المفاهيمية في عصرنا الراهن ، ف بجانب توفيرها لموارد الخطاب الصحفي بتجلياته الثقافية والسياسية والاجتماعية ، فإن التقنيات الرقمية الجديدة وآليات الذكاء الاصطناعي قد احدثت تغييرا حاسما في طبيعة فهمنا للتراث والفكر بعد ان تحول النص الاحادي الى نص متشعب ، واصبح الخطاب عرضة لسلسلة من عمليات المعالجة المحوسبة التي ينقر فيها داخل البناء اللغوي والدلالي للنص للوصول الى النموذج الذي اسهم في توليد الافكار وأنشأ الصرح المفاهيمي للفكر ، وقد تعمقت الوشائج التي تربط الموارد المعلوماتية بالادوات التقنية بعد ان اصبحت الافكار والثقافات عبارة عن نبضات رقمية محفوظة في وسائل خزن مغناطيسية ويتم تداولها بشكل حزم رقمية تسري عبر شبكات رقمية تلف كرتنا الارضية ، فلم يعد للخطاب وجود دون ارضية رقمية تسري فيها النبضات الرقمية التي تترجمها الى نص مقروء او خطاب مرئي او مسموع)⁽¹⁾ .

ويحدد الكاتب مساهمة الفضاء المعلوماتي للانترنت بالفضاء الثقافي من خلال مجموعة العناصر التي يتألف منها والتي تشمل كما يقول:

- فضاء مفتوح للتجارة الالكترونية بوصفه موطن تسوق الكتروني لمختلف انواع السلع والخدمات المطروحة للاستهلاك
- وسط مجتمعي تتم من خلاله أنشطة النقاشات والتواصل مع الآخر عبر حلقات الدردشة ومجاميع الاخبار والبريد الالكتروني
- بيئة ثقافية ومعرفية culture media يتم من خلاله تبادل المعلومات والمعارف بشتى صورها وانواعها عبر الخطاب العلمي والثقافي في مواقعه الكثيرة
- بيئة سياسية مستحدثة تمارس من خلالها عمليات متباينة لترجمة الخطاب السياسي الى فعل معلوماتي يملك تأثيرا ملموسا على الجهة المناوئة

⁽¹⁾ صحافة الانترنت في الوطن العربي ص ١

● بيئة تنظيمية مستحدثة لادارة وتنظيم الانشطة التقليدية عبر وسط معلوماتي يذلل الصعاب التي تشخص امام الفعل التنظيمي على ارض الواقع ويتجلى ذلك واضحا في تقنيات ادارة حركة الصناعة والتجارة والخدمات عبر الفضاء المعلوماتي وبعيدا عن الآليات القديمة التي تعاني من بطء ملحوظ

● بيئة لهو ملوثة قد شحنت بجميع أنشطة الفسق والفجور التي توظف الخصائص الفريدة لحضارة الصورة وثقافتها لاشباع واستدراج الشهوات الانسانية وتضليلها واجتذاب الشباب وتوسيع دائرة العهر بحيث اصبح في متناول الجميع وبعيدا عن اعين رقابة المجتمع والتقاليد (¹¹)

ترى هل ان توفر المعلومات بسهولة لكل الناس هي مسألة سلبية ام ايجابية اذا كان الانترنت هو الوسط الناقل لها؟

لقد بشر بعض الباحثين بأن الانترنت سيحقق ديمقراطية في المجتمع الحديث بما لم يتوفر سابقا له وسيحقق عدالة اجتماعية من خلال هذه المعرفة المتاحة للجميع فيقول الانترنت بإتاحتها للمعلومات والمعرفة -اهم موارد التنمية- للجميع على حد سواء ، ستوفر مناخا افضل لتحقيق العدالة الاجتماعية ، وتمنح فرصا متكافئة للتعليم والتعلم مما يضيق الهوة الفاصلة بين العالم النامي والعالم المتقدم ، ويقلل الفوارق بين الفئات الاجتماعية المختلفة ،

وعلى النقيض من ذلك هناك من يؤكد ان الانترنت يزيد من حدة الاستقطاب الاجتماعي بين من يملك ومن لا يملك ، وسيؤدي الى ظهور نخبة جديدة تجمع بين القوة المادية لرأس المال والقوة الرمزية المتمثلة في المعارف والمعلومات ان المعلومات عبر الانترنت في رأي هؤلاء لن تظل حرة طليقة مشاعة للجميع ، وذلك بعد ان ادركت القوى الرأسمالية التقليدية المغزى الاقتصادي للموارد الرمزية ، وهم مصممون على ان يحيلوا المعلومات والثقافة الى سلع تباع وتشترى وفقا لقانون العرض والطلب .

(¹¹) صحافة الانترنت في الوطن العربي ص 3

ان هناك من يزعم ان هذه التكنولوجيا المستحدثة ستحقق درجة غير مسبقة من الشفافية -احد الشروط الاساسية لممارسة الديمقراطية- فهي تمثل وسيلة عملية لاطلاق حرية الانسان في ان يحصل في أي وقت وفي أي مكان على كل ما يحتاجه من معلومات ، وأن يبعث في أي وقت وإلى أي مكان ما يتراءى له من أفكار وآراء ،

على النقيض من ذلك هناك من يؤكد انها تنطوي على تهديد حقيقي لخصوصية انسان اليوم ، وقد باتت بياناتها الشخصية متاحة لاجهزة الرقابة والسيطرة عرضة لاستغلالها في كشف المستور وما تختلج به الصدور وتشفى به العقول ،

ان الحرية المطلقة الموعودة ما هي الا خداع ، وقد بدأت الطبقة ذلك العدو اللدود للديمقراطية تتسلل الى شبكة الانترنت التي تحتوي حاليا على عدد من النوادي المعلوماتية خاص بالاعضاء فقط تقتصر عضويتها على نخبة متميزة من حملة بطاقات العضوية او من يعرف كلمة السر -الشفرة- التي تتيح له النفاذ الى بوابة المعلومات الراقية ، فلا مكان هنا للحرافيش او المتسكعين في دروب هذا الماموث المعلوماتي (^(١)) .

ان هذا التأثير الكبير والخطير لشبكة الانترنت على المجتمع خلق علوما جديدة متصلة بدور الاعلام والانترنت كوسيلة اعلامية في التأثير على الافراد والجماعات ، من هذه العلوم ما يسمى علم اجتماع الاعلام ، فالانترنت كوسيلة اتصال واعلام لم يقتصر على تطور قوة البث وقوة الاستقبال فقط ، وإنما أدى الى ترك آثار واسعة على البنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، ومن هنا تحول الى قضية هيمنة يقول احد الباحثين في هذا العلم (ان التقنيات الاتصالية الجديدة هي بمثابة الزلزال الذي هز ومن ثم خلخل المرتكزات الاساسية للبنى الاعلامية القديمة بصورة شاملة ، بدءا من التقنيات المستخدمة وغطت العمليات الاعلامية والاساليب المستخدمة وانتهاء بوظائف الاعلام ذاته) (^(٢))

^(١) الديمقراطية الرقمية ص٤-٥

^(٢) علم اجتماع الاعلام ص١٢٥

ويؤكد على (ان التغير الذي طرأ على حجم عملية الاتصال والدور المناط بها يتصل مباشرة بعملية تدويل الانتاج والبث والتصدير وكلها ذات علاقة باستخدام انماط جديدة لممارسة الهيمنة السياسية ، لهذا ان وظائف الاعلام ووسائله تبدو مختلفة عما سبق ، وترتكز بصورة اساسية على تهئية الاجواء والقناعات وبلورة مشاعر مستهلكي المادة الاعلامية بأنهم ينتمون الى بيئة سياسية دولية او البيئات المعرضة لمثل هذه الحملات في مقاومة التسلط والدفاع عن حقوق الانسان المقهور اجتماعيا في تبني ثقافته وسياسيا في ضمان حريته ووطنيا في ضمان استقلاليته)

ان ثورة الاتصال التي احدثتها الانترنت غدت اليوم من أهم الوسائل التي تستعملها القوى السياسية المستنيرة لتحرير الشعوب من الاستبداد والظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي حيث وفرت الانترنت امكانات كبيرة على كافة المستويات وخاصة السياسية والاعلامية ويمكن اجمال بعضها بما يلي :

١. تسهيل الحصول على المعلومات وهي لا تزال طريقة من مصادرها المباشرة ، فبمجرد نقرة على شاشة الكمبيوتر ينتقل القاريء من موقع الى موقع أينما أراد على وجه الارض ، ويقرأ أي موضوع يشاء بأي لغة يفهم دون مصادرة او قيود

٢. تسهيل إيصال المعلومات الى الجمهور دون تحكم من الحكام المستبدين او رجال المال المحتكرين لملكية وسائل الاعلام ، وتوفير المعلومات الصحيحة هو اول خطوات التغير ، وقد كان احتكار اهل السلطة والثروة للمعلومات في الماضي من اهم الوسائل التي يحتمون بها

٣. التمكن من ايصال الرسالة الاعلامية بالشكل الذي يريده المرسل دون تدخل موجه من اباطرة الاعلام الذين اعتادوا التصرف في المعلومات التي تصلهم وصياغتها واخراجها بالطريقة التي تخدمهم على حساب المرسل الاصلي ورسالته بل يقدمون الرسالة بصورة تخدم نقيض ما اراد مرسلها

٤. رخص ثمن الاتصالات بل ومجانيتها في اغلب الاحوال مما يجعلها متاحة للجميع ولا مجال لاحتكارها من طرف الحكومات القمعية او الشركات الاحتكارية ومن فوائد رخص ثمن الاتصالات اشراك عامة الناس في المعلومات، وتلك هي الخطوة الاولى لاتخاذ الموقف السياسي الرشيد .

٥. ورغم ان الاحكام الدكتاتوريين يميلون الى التضييق على تكنولوجيا الاتصال الحديثة مثل الانترنت خوفا من انفلات الامور من قبضاتهم ، فقد بدأ الاعلام الالكتروني يقضي على اعلام الورق - الصحف - وبدأ يضايق اعلام الصورة - التلفزيون - وهو مرشح للسيادة في المستقبل بسبب الميزات العديدة التي يمتاز بها على الاعلام التقليدي

اما ميزات الاعلام الانترنيتي على الاعلام التقليدي فيمكن اجمال بعضها فيما يلي:

١. ان الاعلام الالكتروني يعطي القاريء فرصة اطلاع اكبر من الناحية الكمية ، ففي جلسة واحدة يستطيع القاريء ان يطلع على عشرات المصادر الاعلامية من جميع ارجاء العالم ودون تكلفة مادية تذكر ، وهو أمر غير ممكن عمليا من حيث الوقت ومن حيث الكلفة في التعامل مع الاعلام التقليدي .

٢. انه يعطي القاريء حرية الانتقاء والمقارنة من خلال الاطلاع السريع على العديد من المصادر المختلفة الرؤى والخلفيات واستخلاص النتيجة التي يراها اقرب الى الحقيقة دون ان يظل اسيرا لرؤية مخصصة ولا تخفى قيمة ذلك في تحرير ارادة المتلقي في تعاطيه مع الوسيلة الاعلامية.

٣. انه يمكن من القراءة المتخصصة ، فلم يعد من اللازم استنزاف الوقت والجهد في تصفح الصحف بحثا عن موضوع معين او انتظار برنامج مخصوص في احدى القنوات التلفزيونية ، بل اصبح الانترنت بوسائل البحث في مادته يمكنك من الاطلاع على الموضوع الذي تريد في الوقت الذي تريد .

٤. انه يوصل الرسالة الاعلامية الى مدى عالمي ويتجاوز القيود التقليدية التي تقيد التلفزيون والصحافة المطبوعة فهذه تحددها حدود المكان فلا يتجاوز بعضها مساحة معينة من البسيطة كما تحددها حدود المكان فلا يستطيع الجميع الوصول اليها لانها غير مجانية بخلاف الانترنت فلا تحده حدود المكان وهو مجاني او شبه مجاني في العادة .

ان المتتبع لثورة الاتصال والاعلام في عصر المعلومات ، يدرك ان الاعلام اصبح محوريا لا بسبب التقنيات التي استخدمها فقط ، وانما بسبب طبيعة الرسالة الاعلامية عبر هذه التقنيات ، يقول الدكتور نبيل علي تحت عنوان محورية الاعلام والاتصال (لقد ظن البعض خطأ ان اعلام عصر المعلومات ما هو الا مجرد طغيان الوسيط الالكتروني على باقي وسائط الاتصال الاخرى ، لكنه في حقيقة الامر اخطر من ذلك بكثير ، فالاهم هو طبيعة الرسائل التي تتدفق خلال هذا الوسيط الاتصالي الجديد ، وسرعة تدفقها وطرق توزيعها واستقبالها ، لقد نجمت عن ذلك تغيرات جوهرية في دور الاعلام جعلت منه محورا اساسيا في منظومة المجتمع ،فهو اليوم محور اقتصاد الكبار وشرط اساسي لتنمية الصغار، لقد ساد الاعلام ووسائله الالكترونية الحديثة ساحة الثقافة حتى جاز للبعض ان يطلق عليها ثقافة الميديا ، وثقافة التكنولوجيا ، وثقافة الوسائط المتعددة) ^(١) .

لقد سيطرت الانترنت على كل وسائل الاعلام وتضمنتها ، وقد كان العامل التقني من العوامل الاساسية لثورة الاعلام والاتصال بجانب العامل الاقتصادي وعولمته والعامل السياسي المتمثل في الاستخدام المتزايد لوسائل الاعلام ، يقول نبيل علي بان وراء ثورة الاعلام والاتصال عوامل تقنية واقتصادية وسياسية ، وان العامل التقني المتمثل في التقدم الهائل في تكنولوجيا الكمبيوتر ، عتاده وبرمجياته ، وتكنولوجيا الاتصالات خاصة فيما يتعلق بالاقمار الصناعية وشبكات الالياف الضوئية ، لقد اندمجت هذه العناصر التكنولوجية في توليفات اتصالية عدة الى ان افرزت شبكة الانترنت التي

^(١) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص٣٤٤

تشكل حاليا - كما يقول علي- لكي تصبح وسيطا اعلاميا يطوي بداخله جميع وسائط الاتصال الاخرى المطبوعة والمسموعة والمرئية ، وكذلك الجماهيرية وشبه الجماهيرية والشخصية ، لقد انعكس اثر هذه التطورات التكنولوجية على جميع قنوات الاعلام، صحافة واذاعة وتلفاز ، وانعكس ذلك -وهو الاخطر- على طبيعة العلاقات التي تربط بين منتج الرسالة الاعلامية وموزعها ومتلقيها ، لقد انكمش العالم مكانا وزمانا وسقطت الحواجز بين البعيد والقريب وكادت تكنولوجيا الواقع الخائلي ان تسقط الحاجز بين الواقعي والوهمي ، وبين الحاضر والغائب ، وبين الاتصال مع كائنات الواقع الفعلي ، والكائنات الرمزية التي تقطن فضاء المعلومات .

ولاشك ان محورية الاعلام والاتصال هو الذي قاد الى ان تأخذ شبكة الانترنت سلطة خاصة تتجاوز سلطات الاتصال والاعلام الاخرى، فإذا كان الاعلام سلطة رابعة فإن الانترنت اليوم تتجاوز قدراته مجموع قدرات وسلطات المسموع والمنظور ،

لقد كانت سلطة الصحافة -السلطة الرابعة- باعتبارها وسيلة اعلامية من اوضح السلطات عبر الممارسات الانسانية التي عايشتها ، لقد وصلت سلطة الصحافة كما عبر عنها نابليون بونابرت الذي كانت تخيفه الصحافة بقوله -ان مقالة صحافية تساوي جيشا من ٣٠٠ الف رجل ،،وهؤلاء لا يراقبون الداخل ولا يخيفون الخارج افضل من دزنتين من حشالات الصحفيين-.

كذلك كان للراديو سلطة وللتلفزيون سلطة الصورة وصولا الى سلطة الحاسوب، لقد جمعت الانترنت هذه السلطات كلها فيما اعطاها قدرة وسيطرة تامة وهو ما تحدث عنه احد الكتاب تحت عنوان سلطات الانترنت بعد ان استعرض السلطات الاعلامية السابقة (قد تكون الانترنت او شبكة الشبكات هي التي تساعد اليوم في ردم الهوة بين الانسان والتقنيات ، إذ خطأ بواسطتها خطى سريعة تفوق بكثير الاستطالات القديمة التي جعلت رجليه وسمعه ونظره ولسانه وصوته تتمثل في العجلة والهاتف والشاشة، وما اختراع الحاسوب الا استجابة لتقديس قدرة الانسان الذي جعله على صورته محاولا ان يجمع هذه الاستطالات الى مخ صناعي وذاكرة صناعية وشبه

اعصاب صناعية زودها باطراف كهربائية وميكانيكية وعيون واذان الكترونية وعلمها الحركة والكتابة والقراءة ومنحها لغته ووضع في برامجها عصارة فكره وتجاربه ، واستأنس برفقتها في مصنعه ومتجره ومكتبه وقاعة درسه وغرف معيشته ، وبهذا اصبحت ذاكرة الانسان مستودعا او وعاء وحواسه هوائيات ، ولغته اشارات ، ونبضاته وفكره مواد قابلة للتعليب من خلال اساليب الذكاء الاصطناعي ، وان استشرى المجاز في اسقاط الحواجز بين الانسان والآلة على الرغم من الاقرار بصعوبة ارتقاها الى مستواه ، يدخل شبكة الشبكات الى المستوى الذي تبدو فيه ممثلة لأقصى تجليات الاتصال الاصطناعي الذي هو في رأينا عدم الاتصال ، تساعد الانترنت في تثبيت مركزية الاعلام فتندمج الالياف الضوئية والكابلات الارضية والبحرية واشعة المايكرويف ودوائر الاقمار الصناعية الى درجة توصل معها الى التخوف من حدوث أزمة مرور للاقمار الصناعية التي تتزاحم في ارتفاعها الثابت بالنسبة الى الارض وبصورة تهدد بتداخلات موجات ارسالها)^(١) .

ان مراجعة بسيطة لسلطة الاعلام التقليدي اليوم وفي ظل العولمة يعطينا صورة عن سلطة الانترنت التي اصبحت بديلا لكل الوسائل الاعلامية وجامعا ومضمنا لها .

يقول احد الكتاب عن سلطة الاعلام التقليدي او ما يتبقى منها في ظل العولمة (اذا كان الاعلام يشكل اليوم مادة اساسية في تطوير الحياة وتنمية المجتمعات بالاتجاه الذي يؤدي الى زيادة المعارف وتوسيعها ونقلها وحل المشكلات الجوهرية لسكان العالم ، فإنه اصبحت في عصر العولمة وفي ظل التقدم العلمي والتقني سلطة قوية للتأثير في الرأي العام ، وأداة خطيرة للدعاية والحرب النفسية بقصد الغزو والسيطرة وغسل العقول في عالم متغير يتميز بالقطبية الواحدة وسيطرة الاحتكارات الدولية على ميادين الحياة ، وخاصة المجال الاقتصادي والاعلامي .

ان الاتصال الدولي لم يعد يعني نقل المعلومات والاخبار ، وانما تعداه الى خلق فهم جديد للعملية الاعلامية التي تتحكم بها طرائق ومعارف ومناهج العلوم الحديثة وهو ما

(١) الاعلام العربي وانهايار السلطات اللغوية ص ٣٨٣

يفسر استثمار الغرب لتكنولوجيا الاعلام والاتصال في تحقيق اهداف استراتيجية يراد منها الهيمنة السياسية والفكرية ، وتفتيت الدول وشعوبها ضمانا لوجودها المستمر فكريا وسياسيا ونفسيا وثقافيا في هذه الدول ،والاخطر في عالم اليوم هو ان ميدان الاعلام وتكنولوجيا الاتصال يشهد ثورة كبيرة في ادواته واساليبه ومضاميته بحيث لم يعد هناك مفهوم واضح لما يسمى -السيادة الوطنية او جغرافيا المكان .

ولم يعد العالم -قرية صغيرة- كما عبر احد علماء الاتصال في الغرب وانما اصبح العالم -غرفة صغيرة- يعيش فيها مليارات البشر تحت سلطة الكلمة والصورة ، ويتحكم فيها الاقوى والاغنى والافضل عدة ، وقد تسبب الوضع الدولي الراهن في خلق -الفجوة الاعلامية - ما بين الشمال والجنوب ، وحرم الجنوب -العالم الثالث- الكثير من الامتيازات التي تحققها التكنولوجيا المتطورة في مجال الاعلام والاتصال ، وجعلها في كثير من الاحيان غير قادرة على الحفاظ على استقلالها السياسي وامنها الثقافي بسبب التفوق التكنولوجي للغرب وهيمنة المؤسسات الاعلامية الدولية على سير المعلومات وتدفق الاخبار) ^(١) .

^(١) الاتصال الدولي والعربي ص ١١-١٢

المعلومات والمعلوماتية

قبل الانترنت وبعده

لاشك ان المعرفة والمعلومات هي قوة كبيرة بيد السلطة وبيد معارضي السلطة على السواء، فإذا وظفت هذه المعلومات عبر اعلام الدولة اعطاها قدرة تأثير كبيرة على المحكومين ، وإذا وظفها المحكومون في اعلامهم عبر الانترنت وغيره فسيكون لها قوة معارضة كبيرة ،

لقد تحدث الرئيس الامريكي كلنتون في عدد مارس -ابريل لسنة ١٩٩٦ لمجلة فريز أفيرز قائلا : المعرفة هي اكثر من أي وقت مضى سلطة ، فالدولة التي ستزعم ثورة الاعلام هي التي ستكون قوية بين الدول ، على المدى المنظور هذه الدولة هي الولايات المتحدة ، هذه السلطة اللامادية ستمكننا من التحكم في العلاقات الدولية بال جذب لا بالقوة ، بالتالي فلا مجال لتحمل تكاليف عسكرية جديدة.

وقد أكد الرئيس كارتر قبله ان امريكا ليست دولة استعمارية ولا تريد اراضي اخرى ، انها تريد اقتراح نمط تفكير .

وقد أكد آل جور نائب الرئيس الامريكي هذا المعنى حينما نادى بإقامة بنية اساسية معلوماتية عالمية ينعم بها سواء بسواء اغنياء العالم وفقراؤه ثم قال : دعونا نتجاوز الايدلوجيا ، لنتحرك معا صوب هدف مشترك لبناء بنية اساسية معلوماتية عالمية لمصلحة جميع الدول من اجل خدمة اقتصادنا الحر وتحسين خدمات الصحة والتعليم وحماية البيئة والديمقراطية (^{١١}).

لقد صدرت عدة دعوات من كثيرين يذهبون الى ان شبكة الانترنت وما تنقله من معلومات عبر الحدود ستكون كفيلة باسقاط النظم الدكتاتورية والاستبدادية ، وان تزايد استخدام الانترنت كوسيط اعلامي جعلها في مقدمة القوى المسيطرة في عالم العولمة الجديد ، ويظهر ذلك من خلال انها فرضت نفسها اعلاميا ، فهي

^(١١) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص ٢٤

بجانب كونها شبكة الشبكات فهي بالقدر ذاته -وسيط الوسائط -الاتصالية بلا منازع ، وتتجلى عظمة هذا الوسيط الاعلامي في قدرته على احتواء الوسائط الاخرى كمصادر للمحتوى بالنسبة له وفي هذا الصدد يقول نبيل علي (وبينما كانت عظمة التلفزيون في احتوائه الراديو ، تقوم عظمة الانترنت على احتوائها الصحافة والاذاعة والتلفزيون والبحث عن المعلومات ، ولا يستقيم اليوم حديث في شان الاعلام والاتصال دون تناول القضايا العديدة التي تطرحها الانترنت كوسيط اعلامي).

ان مراجعة دور المعلومات في تغيير المجتمعات قبل ظهور الانترنت يعطينا صورة اوضح عن دورها بعد ثورة المعلومات والمعلوماتية .فمن البديهي القول ان المعلومات تغير كثيرا في المجتمعات والدول الى حد يمكن معه القول انها تعيد صياغتها ، فقد أدت الوفرة الهائلة في المعلومات وانتاجها واستهلاكها وسهولة الاتصالات الى تداخل المجتمعات وزيادة تأثيرها على بعضها البعض ، وتجري الآن دراسات حول التصويت الالكتروني ومسح الرأي العام عبر الانترنت ، فإذا اضيف الى ذلك عمليات الحوار والاتصال عبر الانترنت وشبكات الاتصال فإن الديمقراطية في العالم تدخل في مرحلة جديدة قائمة على الانتشار ومزيد من الرسوخ والتغلغل في حياة الناس وقراراتهم.

في عام ١٩٨١ عين في الحكومة البريطانية وزير لتقنية المعلومات وفي ذلك العام قال اللورد دنيون الرئيس السابق للمجلس الاستشاري للمعلومات العلمية -ان لثورة المعلومات نتائج في مجال العمل والحياة تقدم فرصا افضل وتهددنا بعواقب وخيمة اذا اخطأنا الاختيار -.

في تأثير المعلومات في المجتمع كتب مايكل هيل ^(١) كتابا جاء فيه بان المعلومات خليط من المواد الخام التي يمكن تحويلها الى منتجات جديدة تماما كما يحول الحديد والقطن الخام الى منتجات جديدة ، وسوف تجعل المعلومات البعض اكثر ثراء ، وتحسن الحياة بالنسبة لكثيرين كما انها سوف تزيد من مشكلات الكثيرين وتجعل البعض افقر حالا .

^(١) اثر المعلومات في المجتمع -مايكل هيل -نشر مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية -عرض ابراهيم غرايبة على الانترنت في موقع الجزيرة نت

وفي اشارة الى النزاعات الصناعية كتب الامين العام للامم المتحدة كوفي عنان : لقد كانت واحدة من حالات سوء التقدير التي وقع فيها عددا عسرا من المتعلمين تلخص في انهم تصوروا ان مجرد تخيل المشكلة والوصول الى استنتاجات يحل المشكلة، ان المشكلات التي سوف يقودنا اليها محتوى نظم المعلومات تحتاج الى البحث وتقديم النتائج كمعلومات يمكن ان نستعملها ويستعملها السياسيون والعاملون في حقل التعليم وكل انواع المهنيين لابتداع الحلول المناسبة وتنفيذها .

يقول المؤلف :ان المعلومات فئة من المفاهيم تستوعبها عقولنا ونسجلها عن وعي ومن شأنها تعديل حالتنا المعرفية ، وعندما نتلقى المعلومات فإنها قد تكون تكرارا او تأكيداً لمعلومات لدينا بالفعل ، كما يمكن ان تكون اضافة على ما نعرفه بالفعل عن احد الموضوعات بالاضافة الى انها يمكن ان تكون تصحيحا او تعديلا لمعرفتنا القائمة بالفعل عن احد الموضوعات او فتحا لمجال معرفة جديدة.

ويفرق المؤلف بين المعرفة والمعلومة وانهما ليسا مترادفتين ، إذ ان المعرفة في جوهرها أمر شخصي ومن عناصرها الاساسية الفهم والعلاقة بالقيم ، وهي تتكون وتزداد بالفكر وباكتساب المعلومات وباعمال العقل لتقييم نوعية هذه المعلومات الجديدة واستخدامها وعواقبها على ضوء المعرفة الموجودة لدى المرء.

ويتعرض المؤلف الى اخلاقيات المعرفة فيؤكد انه بالنسبة الى المجتمع البشري تعتبر مراجعة المبادئ الاخلاقية مرارا وتكرارا أمرا مهما ، فالمعلومات واستخدامه موضوعات مهمة كمبحث مستقل من زاوية الباخلاقيات لجوانب أخرى من الحياة، اذ تترتب عليها حقوق ومسؤوليات كثيرة وقضايا اجتماعية واقتصادية تتمثل في حق السعي لتحصيل المعلومات وحق الدراسة والقيام بالبحث وحق المعرفة وحرية المعلومات وحرية الاعلام وحق تلقي المعلومات وحدود الرقابة وحق توصيل المعلومات للغير والواجبات والمسؤوليات واخلاقيات المهنة وحق المساواة والفجوة بين ثراء المعلومات وضعفها، والحق في عدم البوح بالمعلومات ، والحق في الخصوصية وحماية البيانات وحقوق الملكية وحقوق التأليف والطبع .

وبالنسبة للنشر الالكتروني فقد اشار المؤلف الى انه قد ادى الى ظهور عدد من المشكلات الاضافية التي يتم حلها بالتدريج، فهناك نوعان من البيانات فاذا حكم على قاعدة البيانات بانها ابداع فكري سوف تتمتع بمقتضى قانون الاتحاد الاوربي واتفاقية المنظمة العالمية للملكية الفكرية الخاصة بحقوق النشر بالحماية العادية كعمل ادبي، أما اذا كانت قاعدة البيانات مجرد تجميع لكنه انطوى ابتداعه على بذل مجهود كبير في الحصول على المحتويات وفحصها وترتيبها فانها تعطي حماية لمدة ١٥ عاما من تاريخ ابتداعها ضد اخذ مقتطفات منها .

اما عن علاقة المعلومات بالسياسة والحكم فيرى المؤلف ان هناك اربعة مجالات رئيسية مشتركة بين الحكومة والمعلومات وهي الامن والتشريع والادارة وخدمة المواطنين والجمهور وتوعيتهم وتبادل المعلومات وبثها عبر الاقطار لاغراض الاعلام والتجارة او في جهات واغراض قانونية مشروعة ، لكن الحكومات اليوم في عصر المعرفة تطور ادارة المعلومات لتقديم وتطوير خدمات التعليم والصحة والضمان والتوظيف وانجاز المعاملات ، وقد اوضحت الحكومة البريطانية عام ١٩٩٤ ان دورها في تسهيل الاتصالات وتطويرها يقع في تأسيس الاطار التنظيمي وتشجيع المنافسة ودعم البحوث وتحديد التأثير على الانشطة الاقتصادية والاجتماعية والرقابة على المواصفات والخدمات وتجري الحكومات الغربية اليوم ربطا للمكتبات والمدارس والجامعات والمؤسسات في شبكات تسهل تبادل الخدمات والمعلومات وتقلل التكرار والازدواجية .

لقد كانت هذه المعطيات للمعلومات قبل استخدام ثورة تكنولوجيا الاتصال والانترنت ، بما يعنيه من سعة كبيرة للمعلومات والمعلوماتية ،

ان هناك من تحدث عن السمات المركزية التي لابد من استحضارها لفهم التحولات العميقة التي يعيشها قطاع الاعلام والمعلومات والاتصال منذ ثلاثة او اربع عقود من الزمن حيث يقول فيها ^(١) :

^(١) في الثورة الاعلامية والمعلوماتية المعاصرة يحيى اليحياوي -عن الانترنت

السمة الاولى: وتتمثل في غزو المعلومات بكل ضروب حياة الافراد والجماعات وبروز صناعة المعلومات باعتبارها المحرك القوي الجديد للاقتصاديات والمجتمعات ، فجعل الاقتصاديات والمجتمعات المعاصرة حتى تلك التي كانت منظومتها الفكرية تعتبر المعلومات نشاطا غير منتج قد غيرت من نظرتها للامور ، وإلا فما معنى تخصيص كل من فدرالية روسيا والصين لملايين الدولارات لتجديد وبناء قاعدة اعلامية واتصالاتية في افق القرن الحادي والعشرين ، قرن العلم والمعرفة واقتصاد الاعلام كما يقال ، وهناك فضلا عن هذا مجموعة معطيات احصائية تبين انفجار صناعة الاعلام والاتصال والمعلومات وغزوها لمجمل حياة الافراد والجماعات .

المعطى الاول :ومفاده ان سوق صناعة الاعلام والاتصال -الكترونيات جاهزة، معلومات، اتصالات ،وسائل اعلام وترفيه ،-ستبلغ نهاية هذا القرن -القرن العشرون-حوالي ١٥٠٠٠ مليار فرنك فرنسي ،أي ما يناهز ١٠٪ الى ١٢٪ من الاقتصاد العالمي ٢٩٠٠ منها للاتصالات ١٥٠٠ للساعي -البصري، ٢٦٠٠ للمعلومات ، وتفيد الاحصائيات الى جانب هذا ان هناك حوالي مليار و ٢٦٠ مليون جهاز تلفاز في العالم، وهناك حوالي ٧٠٠ مليون مشترك في الهاتف ٨٠ منها بالهاتف الخليوي ، وهناك ٢٠٠ مليون حاسوب شخصي ٣٠ منها مرتبطة بشبكة الانترنت ، وسيكون نهاية هذا القرن حوالي ٦٥٠ مليون الى مليار مستخدم بشبكة الانترنت يتصفحون مئات الالوف من مواقع الويب او ما يسمى شبكة العنكبوت .

المعطى الثاني:وفحواه انه اذا كان المواطن الامريكي مثلا قد خصص سنة ١٩٨٠ حوالي ٢٠٪ من ميزانيته للمأكل و ١٠٪ للاعلام والاتصال -تلفزة ، هاتف ،...الخ ، فإن هذه النسبة قد نزلت بعد ١٥ سنة من ٢٠٪ الى ١٦٪ ، وارتفعت الى ١٣٪ عوض ال ١٠٪

المعطى الثالث :المبين لتسارع هذه التحولات يرتبط اساسا بانفجار المعارف ، إذ يقدر العلماء ان مجموع المعارف ابتداء من السنة الميلادية الصفر قد تضاعف اول مرة سنة ١٧٥٠ ثم سنة ١٩٠٠ ثم سنة ١٩٦٠ ليأخذ هذا التزايد بعد هذه السنة منحاً أسيا غير مسبوق في تاريخ البشرية ...ومعنى هذا ان العالم قد انتج من المعلومات

خلال ثلاثة عقود اخيرة ما لم ينتجه طيلة ٥٠٠٠ سنة الماضية ، ومعناه ايضا ان قارئاً قادراً على قراءة ١٠٠٠ كلمة في الدقيقة لمدة ثماني ساعات يومياً يحتاج الى شهر ونصف لقراءة انتاج يوم واحد في الوقت الذي يجد نفسه قد تأخر خمس سنوات ونصف عن مواكبة انتاج المعلومات .

السمة الثانية: وتكمن في تزايد المعلومات في تكوين السلع والخدمات لدرجة اصبحت معها المعلومات تكلفة الانتاج الاولى مقارنة باليد العاملة مثلاً او المواد الاولى .مثالان اثنان يدلان على ذلك .

المثال الاول :

كل عشر سنوات تنخفض تكاليف الحواسيب بنسبة ٥٠٪ مع احتفاظها بنفس القوة -قانون جويس- وكل ثمانية عشر شهراً تتضاعف قوة هذه الحواسيب بالسعر القار ، بمعنى ان ما كان يكلف خمسة ملايين دولار في المعلومات ، لم يعد يكلف اليوم اكثر من ٥٠٠٠ او ٥٠٠ او ٥٠٠ وهكذا ، ومعناه أيضاً ان البرمجيات اصبحت مهمة مقارنة بالاجهزة والخدمات واللوجستيات ، والبرامج أهم من المواد الاولى ، ومعناه كذلك انه في اليابان مثلاً من اجل انتاج نفس الكمية من السلع انخفضت مساهمة المواد الاولى بنسبة ٦٠٪ ما بين عامي ١٩٧٣ و١٩٨٤ ومعناه فضلاً عن ذلك ان ما كنا نحتاجه من مواد اولية لانتاج سلعة معينة قد انخفض بنسبة ٦٠٪ خلال عشر سنوات لانتاج نفس السلعة .

المثال الثاني :

قرص محوري-س د روم- بإمكانه احتواء حوالي ٢٥٠٠٠٠ صفحة نص او في ميدان الاتصالات زوج من كوابل الالياف البصرية رقيق رقة الشعيرة بإمكانه ان يمرر عدد مكالمات هاتفية يوازي ما يمكنه اطلاق الكوابل النحاسية ، على ان هذه الالياف تنتج في المختبرات بواسطة الرمال ، ولا غرض للشركات المنتجة لها في البحث عن اسواق النحاس مثلاً او غيرها ، ومعنى هذا ان هناك توجهها باتجاه لامادية الاقتصاديات وزيادة الاعتماد على المادة الرمادية في انتاج السلع والخدمات .

السمة الثالثة: وتتمثل اساسا في ازدياد قيمة وحجم البحث والتطوير ضمن هذه الصناعات والخدمات المعلوماتية، فعلى الرغم من شكاوى التقشف المتزايدة بالدول الصناعية الكبرى فان المنافسة لم تعد تتكسر بالاسواق،- وان كان ذلك صحيحا في مظهراتها -قدر ما اصبحت تتم في المختبرات ومراكز التطوير والتجديد، فعلى الرغم من ان مشروعا -من اصل عشرة مشاريع هي التي تخرج من مختبرات البحث والتطوير بقطاع الاتصالات فإن هذا الأخير لا يتوانى في تخصيص من ٤% الى ٥% من مبيعاته لميزانيات البحث والتطوير والتجديد، وهذا ما يفسر الى حد بعيد سياسات التحالفات الاستراتيجية والضم بين كبار قطاع الاعلام والاتصال والمعلومات بوجه خاص.

السمة الرابعة: وتكمن في الطابع الشبكي الذي يميز القطاعات الثلاثة التي تكون قطاع الاعلام والاتصال -السمعي -البصري -المعلومات- والقيمة المضافة التي تعطيها الشبكة لهذه القطاعات، إذ في عقلانية تصميم وطريقة تسيير وأنماط توظيف هذه الشبكات تكمن مصادر القيمة المضافة لا في وجود هذه الشبكات في انغلاقها او استقلاليتها، القيمة المضافة تأتي من الترابطات التي تميز الشبكات، فعبر تداخل المعلومات بالاتصالات توفر هذه الاخيرة خدمات جديدة، وعبر اعتماد البرامج المتعددة الاقطاب يصبح بالامكان الزيادة في اقتصاديات السلم وهكذا.

السمة الخامسة: يمكن ملامستها عبر زيادة نسبة اليد العاملة النشيطة بقطاعي الاعلام والاتصال ضمن السكان النشيطين الاجماليين -تقدر الدراسات ان نسبة المشتغلين بقطاع الاعمال والاتصال سنة ٢٠٠٠ ستجاوز ال ٦٥% مقابل ٥٠% الى ٥٥% حاليا سنة ١٩٩٨-مقابل ٢% فقط للزراعة والصناعات الاستخراجية و ٢٢% للصناعات التحويلية و ١٠% لخدمات أخرى، هذه السمة تدل بعمق لا عن طبيعة الاقتصاديات الحالية فحسب بل ايضا عن طبيعة اقتصاديات القرن المقبل -الحادي والعشرين-، وايضا عن طبيعة التكوين والاستثمار فضلا عن ابرازها ملامح البطالة القادمة.

السمة السادسة: وتتمثل في مدى تأثير هذه التحولات الاعلامية والمعلوماتية والاتصالية على انماط التنظيمات والتسييرات والتوظيفات المكرسة طيلة عهود ما

قبل عصر المعلومات ، فهناك الانتقال من الانماط الهرمية السائدة في التنظيم الى سيادة
اللامركزية وسيادة تعدد مراكز اتخاذ القرار مع زيادة قيمة العمل الودي التشاركي ،
ثم هناك الانتقال من نظم الرقابة والضبط المركزية الى انماط رقابة ذاتية تكون المسؤولية
فيها من نصيب الجماعة مع سيادة قيمة النجاح لدى الجميع ، وهناك اعتماد قيم المرونة
والحركية عوض الاعتماد على النظم الجامدة والهياكل الثابتة والمستقرة ، وهناك أخيرا
اعتماد المعلومات كمصدر استراتيجي في العملية الانتاجية عوض اعتبارها بيانات وصفية
جامدة وبيانات تاريخية محددة الاهداف محصورة في الزمن .

هذه هي السمات الكبرى التي نطنها مميزة لعصر التحولات الاعلامية الجارية خارجها
حتى وأن كانت في تسارع يصعب الامساك بميكانيزماتها وأبعادها.

الانترنت و السياسة

ليست السياسة غريبة على الانترنت ومعلوماتها ، فقد كانت فكرتها الاولى تستند الى توظيف عسكري اساسا ، وهو قوة العنف السياسي ،فما يقال عن نشأة فكرة وجود شبكة الانترنت انه ^(١) في عام ١٩٦٠ قدمت الحكومة الامريكية الى شركة راندو كوربوريشن طلبا يتعلق ببناء وانشاء نظام اتصال متطور من شأنه ان يقوم بضمان ربط القواعد العسكرية عبر العالم فيما بينها وقت السلم ، وايضا في حالة هجوم نووي تشنه قوة معادية ، في هذا النظام تقوم مجموعة الكيوترات بالاتصال ببعضها بواسطة لغة مشتركة تسمى TCP-IP.

ثم بدا علماء من جامعة كاليفورنيا في اكتوبر عام ١٩٦٩ تجربة علمية هدفها ربط جهاز كمبيوتر في مدينة لوس انجلس بكمبيوتر آخر في مدينة منلوبارك بخط هاتفي بحيث يستطيع الجهازان العمل معا في شكل نظام اتصال مغلق ، وبدءاً من عام ١٩٧٢ تم التفكير في تمويل مشروع جديد من اجل ربط مصالح وزارة الدفاع مع المتعاملين معه وحوالي عشرين جامعة تعمل على ابحاث ممولة من نفس الوزارة واطلق على هذا المشروع اسم أربا.

ولم يعد استخدام شبكة اربانيت مقتصر على مصالح البنتاغون بل استخدمت من قبل الجامعات الامريكية بكثافة الى حد انها بدأت تعاني من ازدحام يفوق طاقتها، وصار من الضروري انشاء شبكة جديدة ، لهذا ظهرت شبكة جديدة في عام ١٩٨٣ سميت باسم ميل نت لتخدم المواقع العسكرية فقط ، واصبحت بذلك شبكة اربانيت تتولى امر الاتصالات غير العسكرية مع بقائها موصولة مع ميل نت من خلال برنامج اسمه بروتوكول انترنت الذي اصبح فيما بعد المعيار الاساسي في شبكات الانترنت .

وبعد ظهور نظام التشغيل المسمى يونيكس الذي اشتمل على البرمجيات اللازمة للاتصال مع الشبكة وانتشار استخدامه في اجهزة المستفيدين اصبحت الشبكة مرة اخرى تعاني من الحمل الزائد ، مما أدى الى تحويل شبكة اربانيت في عام ١٩٨٤ الى مؤسسة

^(١) الصحافة الالكترونية العربية -الواقع والآفاق د اجقو علي

العلوم الوطنية الامريكية التي قامت بدورها وبالتحديد في عام ١٩٦٨ بعمل شبكة اخرى اسمتها أنسف نت وقد عملت هذه الشبكة لغاية عام ١٩٩٠ الذي شهد فصل شبكة اربانت عن الخدمة مع بقاء شبكة انسف نت جزءا مركزيا من شبكة الانترنت .

اذن فأساس فكرة الانترنت كشبكة كانت لأهداف عسكرية ثم تحولت الى ابحاث علمية لخدمة الاهداف العسكرية ثم هي شبكة معلومات دولية لكل شيء عنوانا للعمولة في هذا العصر ، عولمة الاعلام والاقتصاد والسياسة فكيف نفهم شيء من وظائفها السياسية؟

في تساؤلات تاصيلية يطرح الدكتور نبيل علي في مقدمة كتابه عن الثقافة العربية وعصر المعلومات بعض هذه العلاقة بين السياسة والانترنت فهو يتساءل { ما كل هذا الضجيج حول الانترنت وطريق المعلومات الفائقة السرعة INFORMATION SUPER HIWAY

،وكيف اصبحت هذه الامور ذات الطابع الفني قاسما مشتركا في سياسات الحكومات وبرامج الاحزاب السياسية من الحزب الديمقراطي الامريكي الى حزب العمال البريطاني ، من حكومة سنغافورة الى حكومة ساحل العاج ^(١)

ويضيف -هل يقصد آل جور نائب الرئيس الامريكي وصاحب مصطلح طريق المعلومات الفائقة السرعة ان يكون هذا الطريق الجديد بمنزلة النظير العصري لسلفه طريق السيارات السريع ؟ وكما كان السلف هو شريان نقل -بضاعة-الصناعات الامريكية التقليدية محليا فسيكون اللاحق هو شريان نقل -بضاعة-صناعة الثقافة الامريكية عالميا...وهل لنا -استطرادا لما سبق -ان نعي حرص آل جور على ان ينقل طموحه المحلي خارج حدود بلاده حيث نادى اخيرا بإقامة بنية اساسية معلوماتية عالمية ينعم بها سواء بسواء اغنياء عالمنا وفقراءه ، ولنسترق السمع الى تلك الصيحة السامية النبيلة التي تواترت مثيلاتها منذ ظهور الكمبيوتر، يقول آل جور دعونا نتجاوز الايدلوجيا لنتحرك معا صوب هدف مشترك لبناء بنية اساسية معلوماتية

^(١) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص ٢٣

عالمية لمصلحة جميع الدول من اجل خدمة اقتصادنا الحر ، ولتحسين خدمات الصحة والتعليم وحماية البيئة والديمقراطية= ، وكم كان فطنا جون ستراتون عندما لفت نظرنا الى -سندويتش- آل جور الوارد أعلاه حينما وضع احلام التنمية البشرية من صحة وتعليم وحماية بيئة بين شطري هذا السندويتش ونعني بهما -الاقتصاد الحر والديمقراطية-مسفرا بذلك عن ايدلوجيا النموذج الرأسمالي الذي يسعى القطب الامريكي لتعميمه من خلال مخطط للعملة ، ويالك من- شاطر - يا آل جور وياله من - شاطرومشطور- ، ولا يكتمل المخطط العولمي الا بدعم من المنظمات العالمية لاضفاء لمسة الشرعية على ممارسات العملة الامريكية ، وها هو الاتحاد العالمي للاتصالات -آي تي يو- يلبي النداء ويعلن عن استراتيجيته لاقامة هذه البنية التحتية المعلوماتية العالمية في التوجهات الخمسة التالية

- تنمية من خلال الاستثمارات الخاصة
- منافسة وفقا لقوانين السوق
- قواعد وتنظيمات مرنة لتسهيل عمل مؤسسات الاتصالات وتنظيم المنافسة بينهم
- لا تفرقة في حق النفاذ الى شبكات الاتصال
- التوجه العالمي لخدمة الاتصالات.

وكما هو يسير الاتحاد العالمي للاتصالات على الدرب نفسه في تأكيده الصريح على قوانين السوق الحرة ، وذلك في شأن بنية تحتية حيوية اصبحت من المقومات الاساسية لتنمية شعوب العالم ، ويكفي هذا دليلا على ان المنظمات الدولية ستستخدم سلاحا في يد القوي لفرض سيطرته وتأمين مصالحه في إطار تلك الظاهرة المسماة ب-العملة-التي تجوب جميع الديار تحيطها وصيفتها: الشركات المتعدية الجنسية على جانب والمنظمات الدولية على الجانب الآخر .

ويتكرر تساؤل الدكتور نبيل علي بشكل اوضح عن الانترنت كآلية سياسية حيث يقول : هل لنا ان نصغي -بالتالي- الى ما يردده كثيرون من ان شبكة الانترنت وما تنقله من معلومات عبر الحدود ستكون كفيلة باسقاط النظم الدكتاتورية والاستبدادية هل آن لحلم البشرية ان يتحقق؟ أم ان هذه النظم - كعهدنا بها - ستكون سبابة الى استخدام سلاح الانترنت لغرض الانصياع والانضباط على جماهيرها المقهورة- ^(١) .

وهو يتوقع في المجال العربي وفي اطار العولمة عبر وسائل الاتصال والانترنت خاصة ان يحدث ما يلي :

- ستتقلص فرص العمل بفعل العولمة امام اجيالنا سواء كانوا كبارا او صغارا ، وسيزداد نزيف عقولنا عن بعد عبر الانترنت وهو ما يحدث حاليا بمعدلات متزايدة خاصة بالنسبة الى مهندسي الكمبيوتر ونظم المعلومات
- ستخترق اسرائيل سوقنا الثقافية مستغلة في ذلك اساليب التجارة الالكترونية عبر الانترنت وما اكثر اساليبها الملتوية.
- ستمادى اسرائيل في تشويه صورة ثقافتنا العربية والاسلامية على الانترنت مستغلة في ذلك تفوقها الحالي في تكنولوجيا المعلومات وشبكة تحالفاتها مع المراكز الاكاديمية والتنظيمات الثقافية والدينية عبر العالم ^(٢) .

ان الوجه السياسي الواضح للانترنت جاء بعبارة واضحة وصفية في تقرير - صيانة المحتوى المعلوماتي - تجربة موقع الجزيرة نت حيث جاءت الصياغة الوصفية التالية تحت عنوان الوجه السياسي للانترنت ، ان وجود الانترنت من عدمه ومدى القيود المفروضة على استخدامه اصبح احد سمات التطور والتحرر الديمقراطي الذي يميز دولة ما عن أخرى ، ولعل هذا الوجه السياسي لهذه الوسيلة المعلوماتية ذات الطبيعة غير المقيدة بصورة عامة والتي لم يقتصر استخدامها على الدول الغربية المتقدمة فقط وانما امتد ليشمل دول العالم الثالث او ما يطلقون عليه الدول

^(١) ن م ص ٢٤

^(٢) صيانة المحتوى المعلوماتي اعداد محمد السيد محمود ص ٣

النامية بما فيها الدول العربية التي جاءت هذه الوسيلة لتمثل متنفسا آخر لشرائح عريضة من فئات مجتمعاتها بنت عليها مواقع عدة تعبر عن شخصياتها وتوجهاتها وآرائها في شتى المجالات ، وقد لاحظنا كيف ان بعض الدول العربية التي توصف نظمها بالدكتاتورية تحرص بشدة على عدم توفير هذه الوسيلة لمواطنيها وان وفرتها فانها تقيدها وتفلترها بما يخدم مصالحها ويقمع معارضيها ويحجب مواقعهم.

على ان هناك من الباحثين من يؤصل مسألة ارتباط السياسة كأيدلوجيا بوسائل الاتصال وحيثياتها ، حيث يقول يحيى اليحياوي تحت عنوان -في ايدلوجيا الاتصال ما يلي (كلما كان هناك اتصال فثمة حتما ايدلوجيا إذا لم تكن جلية واضحة فضمنية مبطنة بالقطع ، فالاتصال -تقنيات ، مضامين -لا يستتبت في بيئة جرداء او في فضاء عقيم ، بقدر ماهو افراز لسياق ثقافي واجتماعي منبث بالضرورة في شكله كمكافئ الجوهر على تمثل محدد للذات وتصور معين للكون ، واذا كان من المسلم به في تاريخ تقنيات الاتصال تحديدا ، ان الاداة تبقى في الغالب الاعم والى حد بعيد براء من الاستخدام الذي يترتب على استعمالها فانه من الثابت ايضا وفق ما تقدمه سوسيو لوجيا الاتصال انها تبقى لدى وضعها على المحك حمولة رمزية تبني ما نسميه في هذا النص -ايدلوجيا الاتصال.

والايدلوجيا التي نقصدها في هذا المقام ليست فقط لصيقة بالاتصال ملازمة له على مستوى المضامين ، مضامين الرسالة التي تطبع علاقة الباث بالمتلقي ، بل هي كامنة ايضا في البعد -الادواتي- الذي يطبع هذه العلاقة ويؤسس لمرتكزاتها الاساسية ^(١) .

ان الاستاذ يحيى يؤمن بان الاتصال ايدلوجيا محكومة بالايدلوجيا الليبرالية التي تسودها وتغمرها بمعطياتها ويؤكد هذه الحقيقة في اضافته لما تقدم قوله:

(ليس ثمة شك على ما نرى في اننا حقا بإزاء طغيان للاتصال ، تقنيات وبرامج ، ادوات ومضامين بنى تحتية ومعارف ، واننا قطعاً في هذا الطغيان بإزاء ايدلوجيا تتغيا -تبغي- توحيد الافراد والجماعات ونفي التباين ضمنهم جملة وتفصيلا ، واننا عن كل

^(١) التكنولوجيا والاعلام والديمقراطية يحيى اليحياوي ص ٣٩

هذا وذاك بإزاء توجه الليبرالية الجديدة نحو فرض نموذج موحد في الثقافة والفكر يعتبر الاتصال حالا واستقبالا اداتها ووسيلتها، إذ بقدر ما تدغم الايدلوجيا الليبرالية ايدلوجيا الاتصال وتحولها الى عنصر من عناصر تكريسها، بقدر ما تدمج هذه العناصر بغرض تجديدها وتجديد ينايع التأقلم في صلبها .. وبالتالي فليس ايدلوجيا الاتصال الا رافدا من روافد الايدلوجيات السائدة وفي مقدمتها الايدلوجيا الليبرالية .

اذا لم يكن الامر كذلك فبم نفسر اخضاع ادوات الاتصال والمضامين الممررة عبرها لمؤسسات ترفع السوق والليبرالية الى مرتبة القداسة كما هو حال منظمة التجارة العالمية مثلا ناهيك بالعديد من المنظمات الناسجة على منواله .

ان الاستاذ يحيى يتيق في هذا مع الدكتور نبيل علي في توظيفات ادوات الاتصال لصالح الليبرالية والديمقراطية ، وخاصة في التطبيق العملي لها ، وهذا ما أكدته يحيى في ممارسة تطبيقية حقيقية هي احداث سبتمبر حيث كتب تحت عنوان -أي نظام اعلامي عالمي بعد ١١ سبتمبر يقول (لو كان لنا ان نسلم جدلا بعزم الولايات المتحدة على اقامة نظام عالمي جديد او احياء منظومته المتراجعة منذ انتهاء حرب الخليج الثانية ، لسلمنا دونما اجتهاد كبير بامكانية قيام نظام اعلامي عالمي يكون له بمثابة الركيزة والوعاء له ، والواقع انه لو كانت النية قائمة لدى الولايات المتحدة -وهي قائمة بالتأكيد منذ ما تعرضت له هيبتها وكبرياؤها من تجريح يوم الحادي عشر من سبتمبر -لو كانت النية قائمة لديها على اقامة نظام عالمي جديد ،فانه لن يمهّد السبيل الى ذلك الا اعتماد نظام اعلامي يرسى لها البنية التحتية الضرورية ويؤثث لها الهيكل والشكل) ، ويضيف بعد استطراد لما فعلته الولايات المتحدة ضد فكرة المجتمع العالمي فيقول -لن يبقى لمواصفات المجتمع الاعلامي العالمي هذا من كبير اثر بعد ما تعرضت له امريكا من احداث وما استتبع ذلك من ممارسات :

فالقنوات التلفزيونية -الفضائية منها والارضية -لم تعرض -ولن تعرض بعد هذا التاريخ من اخبار وتحليلات الا ما ارادتها الادارة الامريكية وارتضته ، وبالتالي فارتهان الحرية الاعلامية في جانب المؤسسة العسكرية والتضييق على الحق في الإخبار الحر

والمستقل أصبحت القاعدة والسمة المركزية في السلوك الرسمي الأمريكي لا الاستثناء، ناهيك عن الرقابة الذاتية التي لا تعدو في نهاية المطاف كونها استسلاما من طرف المؤسسة الاعلامية

والبريد الالكتروني ، المواقع على شبكة الانترنت كما المكالمات الهاتفية والمواقع المموسطة اعلاميا ، أصبحت هدف مؤسسات الاستخبارات والتحقيقات والامن العسكري ، تماما كما اخترقت حقوق الافراد والجماعات في التعبير الحر عن الصحافة المكتوبة والتفكير المستقل داخل المنظمات والمؤسسات الاعلامية

نحن اذن -يقول اليحياوي-بإزاء تنكر صارخ من جانب الادارة الامريكية ومن جانب غيرها في باقي الدول الغربية لمباديء لم تتجرأ الادارة ولا تلك الدول يوما على المساس بها او الطعن في استلايتها -

وحينما يعالج يحيياوي مسألة الارهاب التي رهنت الاعلام كله لديها بما فيه الانترنت ، ينطلق من مقدمة العلاقة بين السياسة والاعلام يقول فيها (لم يكن رجال السياسة يوما راضين الا فيما ندر عن الاعلام ولا عن ممارسيه فهم يحتاطون منه أيما احتياط حينما يكون قويا وذا سلطة وجاه ، وهم يستبيحونه أيما استباحة عندما يصبح مكمّن ضعف وهوان ، وهم بين الامرين يداهنون درءا لجبروته او يحتاطون تجاهه خشية قيامه من هوانه.. بعد ذلك يبحث موقع الانترنت في سياسة الارهاب المستخدمة ضد الاعلام عموما حيث يقول عنها-لا خيار للمنظومة الاعلامية في ذلك فهي بصحافتها المكتوبة والمسموعة والمرئية ، وبشبكتها لتبادل المعلومات أي الانترنت مجبرة لا مخيرة على الامتثال لرهانات تتجاوزها وتتجاوز الفاعلين فيها -المتطلعين الى الاستقلالية بالاساس -وإلا فلا مناص من سقوطها في محظورات أخفها جنائي النتائج والتبعات...لم تتخلف اعلى ادوات تكنولوجيا المعلومات -اعني شبكة الانترنت -عن تغطية الحادث بالكلمة والصورة والصوت حتى ليخال للمرء وهو يبحر في تقديماتها انها لا تزال تحتفظ بهامش الحرية والتحرر الذي طبعها منذ ولوجها الميدان العام اوائل ثمانينات القرن الماضي .. ليس من المؤكد ان الشبكة قد

استطاعت النأي بنقاوتها عن صراعات السياسة والايديولوجيا ، ولا عن ممارسات الحرب السيمائية التي اعلنتها الادارة الامريكية والتقطتها مواقع الشبكة بعدما -موسطت- لها بامتياز كبريات الصحف والمجلات والقنوات الاذاعية والتلفزيونية ، فهي شأنها في ذلك شأن باقي وسائل الاعلام ، قد سقطت بدورها في تغليب البعد الاتصالي -بما هو نقطة التقاء فضاءي التقنية والكلمة ، على البعد الاعلامي باعتباره أداة إخبار وتبليغ محايدة مكرسة بامتياز ما يسميه اغاسيو رامونجي بـ طغيان الاتصال .

وشبكة الانترنت كسواها من وسائل الاعلام الاخرى ، اضحت رهينة بيد الاستخبارات ومصالح الامن ومكاتب التحقيقات تشوش على مواقعها ، تغلق شركاتها دون استئذان قضائي تفتح صناديق بريدها دوما اذن او تبرير شرعي وتطارد الصفحات المصنفة مشبوهة دوما تحديد لطبيعة الاشتباه هذه .. وهكذا ان شبكة الانترنت كما سواها من وسائل الاعلام -اصبحت من هنا والى حد بعيد فضاء لتنسيق السياسات الاستخبارية والامنية ما دامت مادتها أي المعلومات هي نفسها التي يحتكم اليها مديرو الاستعلامات حتى وان كانت المادة اياها مجرد اشاعات متداولة او تبدو في شكلها غير ذات اهمية .

ثم ان شبكة الانترنت اصبحت وكرا لاحجام ضخمة من المعطيات والمعطيات المضادة من المستحيل هيكلتها او ترتيبها او تبيان جانب الحقيقة فيها من الخطأ وهي بذلك انما تكرر المبدأ القائل ان تكرار المعطى الى ما لانهاية سيجعل منه حقيقة حتى وان كان مجرد اشاعة اطلقها صحفيون لم يعد بإمكانهم المراهنة على تحقيق السبق او بلوغ الريادة في الاداء إذ الكل معتم عليه الكل ضد الكل مع الكل في الخفاء اكثر من العلن).

لاشك ان هذا الاتفاق على ان الانترنت شبكة يمكن استخدامها -وهي تستعمل حقا في ترويج أي سياسة تتبناها جهة معينة وتضع لها مواقع على الشبكة ، ومن هنا فان مساهمة الانترنت في النضال السياسي يمكن ان يكون مساويا لمحاولات

التحكم بهذه الشبكة من قبل المحتكرين الكبار والشركات المتعدية الجنسية اضافة الى الحكومات ، على ان ما تتيحه هذه الشبكة للنضال السياسي والشعبي يمكن ادراجه فيما يلي :

١. تسهيل سرعة الاستجابة للاحداث الساسية والرد السريع على التحديات في سرعة قياسية ، فلم يعد الأمر يحتاج الى سيارات تحمل ابواقا وتجول في المدن لدعوة الناس الى مسيرة ، او انفاق مبالغ طائلة لترويج حدث سياسي في وسائل الاعلام التجارية ، بل اصبح الأمر مجرد تحرير رسالة تعبئة واستنفار وارسالها الى العناوين الالكترونية لآلاف الناس في لحظة واحدة او نشرها على مواقع معينة في الشبكة الالكترونية ليطلع عليها الآلاف فيستجيبون للنداء.

٢. تشويش الحكومات القمعية وخلخلة استراتيجيتها من خلال الحشد المتوازي المتعدد الرؤوس والمنابع ، بحيث لا تستطيع القوى القمعية ان تحدد هدفها بدقة ، او تصوغ تكتيكا فعالا للقضاء عليه ، بل لا تستطيع ان تحدد التشويش الفكري والاستراتيجي في أذهان القوى القمعية يشل حركتها ويقضي على فاعلية ردها ، ويختلف الامر لو كان واضحا للسلطة ان وراء الاحتجاجات حزبا او منظمة او حركة مخصصة ، يسهل حشرها في زاوية ضيقة .

٣. تغير مفهوم التظاهر والاحتجاج بعد وجود الانترنت ، فلم يعد بالضرورة ذلك الحشد البشري المادي المثير للصخب ، المؤدي الى الشغب وربما الى التخريب والقتل وانما اصبحت امواج الرسائل الاحتجاجية او التأييدية التي ترد عبر الانترنت تعوض الاحتشاد المادي في مكان واحد اذ رأى اهل القضية ان يتفادوا المواجهة المباشرة مع القوى القمعية او اجتناب الآثار السلبية والتمن الباهظ للاحتشاد المادي ، وقد برهنت العرائض الالكترونية التي يوقعها الآلاف او ملايين الناس على انها اداة سياسية فعالة تغني احيانا عن المظاهرات الحاشدة.

٤. حول الانترنت تظاهرات الاحتجاج والتأييد من نشاط محلي الى ظاهرة عالمية حيث تتوارد الرسائل من جميع انحاء العالم لتأييد موقف سياسي معين او للاحتجاج على آخر ، ففي عام ٢٠٠٠ وقع مائة الف شخص من مختلف الاوطان والاديان خلال ايام معدودة مذكرة مرفوعة الى مندوبية الامم المتحدة لحقوق الانسان عبر الانترنت تطالب بمحاكمة أرييل شارون بجرائم الحرب التي ارتكبها في ١٩٨٢ بان الغزو الاسرائيلي لبيروت ، وهذه الصيغة الجديدة للاحتجاج والتظاهر ثمرة من ثمرات الانترنت ، وتعبير عن الامكانيات السياسية التي يوفرها ، وقد دعاها بعض الباحثين الديمقراطية الالكترونية والمجتمع المدني العالمي .

٥. ان الخبرة والتسهيلات الي وفرتها الانترنت في مجال التنظيم والاتصال والاعلام غيرت المعادلة القديمة التي كانت تضطر قوى التغيير الى الاعتماد على دعم دول أخرى في نضالها السياسي كما كتن الحال في الستينات والسبعينات من القرن العشرين حيث كانت قوى التغيير تحتاج الى دعم دول معينة في مجال الاتصال والاعلام والتأمين -حمل جوازات سفر الدول المساندة ، والحديث عبر وسائل اعلامها ، واستخدام الحقائق الدبلوماسية التابعة لسفاراتها...الخ لكن الانترنت جعلت التنظيمات السياسية في غنى عن كل ذلك فحررها من ثمن الدعم الخارجي الذي كثيرا ما يتضارب مع اهداف حركات التغيير ورسالتها .

٦. لقد أفادت الانترنت حركات التغيير الديمقراطي في العديد من دول العالم ومن أشهر الامثلة على ذلك ثورة الطلاب الصرب ضد مجرم الحرب سلوبودان ميلوفيتش الذي كان يقود بلادهم ، فقد كان لطلاب جامعة بلغراد لعظم الدور في اشعال الثورة ضد ميلوسوفيتش ، وكان الانترنت أعظم وسيلة لهم في الاتصال والاعلام والتعبئة حتى لقد دعو ثورتهم ثورة الانترنت .

٧. لعل من الممارسات العربية لاستخدام الانترنت في الصراع العربي الاسرائيلي ما فعله الفلسطينيون تحت عبارة الجهاد الالكتروني او الانتفاضة عبر الانترنت حيث يشير الاستاذ جمال محمد غيطاس في كتابه الديمقراطية الرقمية اليها قائلا في يناير ٢٠٠١ كان قد مضى ما يقرب من ١٢ اسبوعا على اندلاع انتفاضة الاقصى ، وفي هذا الشهر تزايدت وتيرة الانشطة العربية والاسلامية عبر الانترنت في التعبير عن القضية ومحاولة كسب الرأي العام العالمي الى صفها وصف الفلسطينيين، وساعتها كان قلما نجد موقعا عربيا او اسلاميا لا يحمل صدر صفحته الرئيسية صورة الطفل محمد الدرة الذي استشهد برصاص الجنود الاسرائيليين وهو محتّم بوالده ، وفي المقابل نشرت المواقع الاسرائيلية صوراً لمعلمة يهودية في الخليل بالضفة الغربية قتلت في عملية فلسطينية مما يشعل هذا المواجهات ، واعتمد الفلسطينيون -الى جانب قدراتهم الذاتية- على مساعدة المواقع العربية والاسلامية التي تشكل مركز الثقل في المواجهة ، وتطور الامر شيئا فشيئا وانتقلت صور الشهيد محمد الدرة الى موقع شبكة ام اس ان بي الاخبارية الامريكية واحتلت المركز الاول في التصويت الذي أجرته الشبكة حول اكثر الصور تأثيرا وتعبيرا عن بشاعة الحرب والممارسات الاسرائيلية .

وهنا تدخلت العديد من المواقع العربية الداعية للدخول على موقع شبكة ام اس ان بي سي والمشاركة في التصويت الذي تجريه الشبكة .ولفت الانتباه ايضا ان الفلسطينيين والعرب والمسلمين حاولوا تطوير احتجاجهم الرقمي على ما يجري في فلسطين بوسائل اكثر فعالية ، فطوروا فيروسا اطلق عليه فيروس - ظلم - والذي صنف على انه اول فيروس ذي طابع سياسي يظهر على نطاق واسع على الشبكة ويجسد احدي وسائل الاحتجاج الرقمي الديمقراطي السلمي غير الضار على الانترنت ، وذلك لان مصممي الفيروس تميزوا بقدر كبير من الحكمة والحصافة ، وانتبهوا الى ضرورة ممارسة هذا النوع من الاحتجاج الديمقراطي بطريقة لا تصادم مع الطبيعة الخاصة للانترنت، فصمموا الفيروس بحيث لا يهاجم وحدات التخزين

او يحو المعلومات من على الحاسبات التي يصيبها او يؤثر سلبا على نظم التشغيل كما تفعل الفيروسات الاخرى ، ولكنه يكفي فقط بتوجيه الحاسب الذي يصل اليه الى مواقع على علاقة بالقضية الفلسطينية ثم يعرض رسالة تقول -لا تقلقوا هذا الفيروس غير مؤذ لن يضر نظامكم ان هدفه هو مساعدة الشعب الفلسطيني على العيش بسلام في اراضيه .

وحينما تابعت الشركات المتخصصة في امن المعلومات اداء هذا الفيروس وجدت انه يدخل نفسه بشكل آلي الى خمسة وعشرين عنوانا حكوميا للبريد الالكتروني فور فتحه، ويفتح خمسة نوافذ على شاشة الكمبيوتر تتصل بمواقع موالية للفلسطينيين وترسل نفسها الى اول خمسين اتصالا في قائمة مستخدم هذا البريد الالكتروني^(١)

ان معطيات الديمقراطية الرقمية لا تقف عند حدود ممارسة التصويت الديمقراطي عبر الانترنت ولا عند اجراء المسوح الميدانية عبر الانترنت بل تجاوزتها الى اعلان الاحتجاج والعصيان المدني الالكتروني ، الذي يقول عنه هنري ثورو المنظم له -كل الناس يتمسكون بحق الثورة ، وهو حق رفض الولاء لحكومة ما بل ومقاومتها عندما يصبح استبدادها وطغيانها وعدم كفايتها امورا غير محتملة ، وقد جاء دور العصيان المدني الالكتروني كبديل عصري او على الاقل مؤازر للاحتجاج البدني ، كما انه يعد حلا مثاليا للذين يودون لو شاركوا المتظاهرين ولكنهم يؤثرون السلامة على المشاركة في التظاهرات الفعلية في الشوارع .

ان العصيان المدني الالكتروني يحاكي ما يحدث في الشارع دون احداث خسائر مادية ،مقارنة بما يحدث على ارض الواقع ،فبينما يقوم المتظاهرون بسد المداخل والمخارج والممرات لمنع تدفق المسؤولين ، يعترض ناشطوا العصيان المدني الالكتروني التدفق المعلوماتي لمختلف الهيئات لشلها وتعطيلها وهو ما يحدث ضغطا ماليا لا يمكن للتظاهر البشري الذي يجري في الشارع ان يحدثه ، حيث ان تدفق المعلومات ورؤوس الاموال من اهم عناصر الحياة في المجتمعات الرأسمالية .

^(١) الديمقراطية الرقمية ص ١١٤

عن آلية العصيان المدني الإلكتروني لا يحتاج أكثر من جلوس عدد كبير من الناشطين سياسيا وراء شاشات الحواسيب والاتصال بالانترنت للتظاهر او لتكوين رأي عام ما ، ولكن بصور ووسائل قد تكون احيانا أكثر فلاحا من المواجهة الحقيقية مع السلطات مثل:

- القيم بارسال آلاف الرسائل الاحتجاجية والمنددة ...الخ الى شتى الجهات المعنية بصورة ضاغطة مزعجة عن طريق البريد الإلكتروني ، غير انه يستخدم هنا لغرض سياسي لا لترويج سلعة او الدعاية لها
- الدخول الى غرف الدردشة في الانترنت للقيام بحوارات وتكوين رأي مناصر او مناهض لقضية ن القضايا ، فيما يعرف باسم المحادثات السياسية ، كذلك تكوين جماعات ضغط سياسية داخل مجموعات المناقشة في الانترنت .
- القيام بتعطيل موقع ما عن طريق دخول عدد كبير من المستخدمين على ذلك الموقع في وقت واحد ، مما يهييء ورود عدد هائل من الطلبات التي يجب ان يلبيها الحاسب الخادم الذي ينطلق من خلاله هذا الموقع ، وإغراق الخادم تحت هذا الطوفان من الطلبات حيث يقوم الناشطون بالدعوة لذلك العمل المنظم قبلها بفترة كافية حتى يتسنى لأكبر عدد من المشاركين الدخول في توقيت واحد دقيق بفتح عدد غير محدد من نوافذ التصفح وكتابة عنوان الموقع فيه ،والضغط عليه في ساعة صفر معروفة سلفا فيما يعرف بهجوم إيقاف الخدمة .وكل ذلك يؤدي الى حرمان المستخدم العادي غير المنخرط في ذلك النشاط من الوصول الى الموقع او الخدمة التي يقدمها الموقع وهو عقاب للموقع من ورائه.
- الوصول للهدف نفسه السابق بإحدى الوسائل السهلة غير المكلفة من حيث الوقت ، ولا تحتاج لأي خبرة ومنها أمر يستخدم لاختبار وجود موقع ما ، غير انه قد يستخدم من خلال مستخدم عادي ليكتب سطرًا واحدًا عبارة عن

عنوان الموقع يتقدمه أمر ping ليقوم الجهاز بذلك الاختبار بشكل متكرر.

- ارسال الرسائل الالكترونية وتداولها بالاضافة الى عمل المواقع لنشر الافكار والرؤى الخاصة في شكل مظاهرات لخلق رأي عام ضد قضية ما ، أو في سبيل تعضيد قضية اخرى بالاضافة الى ابراز عيوب الاولى ومخاطرها في مقابلة واضحة لمزايا وفوائد الثانية .

وهناك طرقا اخرى للعصيان المدني الالكتروني الذي لا زال في طور الطفولة سواء من ناحية النظرية او التطبيق ،فما حدث حتى الآن وما يحمله الغيب من احداث يمكن ان تقوم بها مليشيات العصيان المدني الالكتروني جميعها يدل على ان هناك تغيرا قد يكون جذريا في اساليب مناهضة القوانين والمنظمات والحكومات والمعاهدات وان المتمردين على الدكتاتورية التي تحكم بالحديد والنار واحزاب الخضر وجماعات السلام الاخضر والمهتمين بشؤون البيئة وانصار الديمقراطية وحقوق الانسان والمطالبين بحقوق العمال والمنددين بالعوامة الى آخر هذه القائمة المعروفة ، قد وجدوا ضالهم التي ينشدونها في هذا النوع من العصيان المدني الالكتروني ^(١).

وهكذا نجد ان الانترنت يمكن استخدامها للسياسة المؤيدة او المعارضة ، وأن توظيفاتها السياسية لا تقف عند حد ، وأن الذين يحاولون استخدامها كاداة عولمية لنماذج رأسمالية محددة يجب ان يحسبوا حساب هذه المعارضة بالادوات الالكترونية التي تروج للعوامة. فالانترنت اداة سياسية واعلامية واقتصادية ، يمكن توظيفها لعوامة العالم كله ولكنها مفتوحة للجميع وديمقراطيتها الرقمية لمن يستطيع ان يستخدمها ويوظفها ، فالاحتكار هنا محدود فليس ثمة احتكار مطلق ولا زالت المنظمات تستخدمها للارهاب وضد الارهاب على السواء.

^(١) الديمقراطية الرقمية ص ١١٠-١١١

الانترنت والاقتصاد المعلوماتي

حينما نعود الى الاسئلة التي طرحها الدكتور نبيل علي في مدخل كتابه الثقافة العربية وعصر المعلومات ، نجد ان تساؤله عن معنى ما طرحه آل جور حينما قال -دعونا نتجاوز الايدلوجيا ، لنتحرك معا صوب هدف مشترك لبناء بنية اساسية معلوماتية عالمية لمصلحة جميع الدول من اجل خدمة اقتصادنا الحر ، ولتحسين خدمات الصحة والتعليم وحماية البيئة والديمقراطية -هذا التساؤل يعني تبني الاقتصاد الحر في المعنى الاقتصادي للمعلوماتية ، كما يعني تبني الديمقراطية في المعنى السياسي الليبرالي لها ، أي ان ايدلوجيا النموذج الرأسمالي هو الذي يسعى اليه بل جور في مطالبته لبناء قاعدة معلوماتية عالمية في عصر العولمة الجديد هذا الذي تقوده الشركات المتعددة الجنسية الى جانب المنظمات الدولية .

هنا نأتي الى التساؤل الاقتصادي الكبير للدكتور علي (ماذا يفعل فقراء هذا العالم وكلفة انشاء هذه البنية التحتية تقدر بتريليونات الدولارات؟).

ويكررالدكتور علي تساؤلاته بشكل آخر ولكن هذه المرة عن العولمة الاقتصادية فيقول : ما كل هذا الجدل حول ظاهرة العولمة ؟ مايزيد على ١٥٠٠ مؤتمر وندوة؟ تلك الظاهرة وليدة ثورة المعلومات والاتصالات ، هل هي دين الراسمالية الجديد ؟ نوع متطور من الحتمية الاقتصادية ملء فراغ الحتميات بعد ان خلا بزوال النازية والفاشية والشيوعية ؟

ثم يزيد في التساؤل الآخر عن معنى الاندماجات في صناعة الاعلام والسينما حيث يقول : ما كل هذه الاندماجات بين عمالقة صناعة الاعلام وصناعة السينما ودور النشر وشركات برمجة الكمبيوتر والانترنت؟ مثال رقم ١ شركة ام سي ان لاتصالات الالياف الضوئية مع مؤسسات روبرت مردوخ الاعلامية ، مثال رقم ٢ شركة وارنر للاتصالات مع التايمز دار النشر الصحفية ثم مع سي ان ان قطب الاعلام التلفزيوني، وأخيرا مؤسسة ايه او ال كبرى الشركات الامريكية لتقديم خدمات الانترنت.

وما الذي دعا شركة سوني اليابانية الى شراء شركة سي بي اس للتسجيلات الموسيقية واستديوهات كولومبيا للانتاج السينمائي ؟ وما هذه الارقام الفلكية التي تتنامى الى اسماعنا عن عوائد صناعة العاب الفيديو -حوالي ٧٠ بليون دولار سنويا- وعما ينفق فيها حاليا من استثمارات ضخمة تقدر بعشرات المليارات من الدولارات سنويا ، تساهم بها شركات امريكية عملاقة أقامت سمعتها على تقديم الخدمات الجادة لمؤسسات الاعمال والاموال ، شركة أي تي اند تي على سبيل المثال ، هل وقار الكبار وقد ذهب يبحث عن مصروف الصغار ويزيد من نصيبه من مصروفات المنازل ؟ أم انه التقارب بين اللعب والعمل الذي يشهده مجتمع المعلومات؟^(١).

لاشك ان الجواب على هذه التساؤلات التي جاءت في مضمون كتاب الدكتور علي هي المدخل والمضمون الحقيقي للبعد الاقتصادي للمعلوماتية بما فيها الانترنت التي تقودها جميعا فماذا اجاب الدكتور علي عن هذه التساؤلات ؟

حينما بحث الدكتور علي عن علاقة منظومة تكنولوجيا المعلومات بالمنظومة الاقتصادية قال (تبرز اهمية المعلومات اقتصاديا في ضوء تعدد الادوار الاقتصادية لها ، فالمعلومات سلعة اقتصادية ، وخدمة اقتصادية ، وذلك علاوة على كون المعلومات موردا حيويا مساندا لجميع الأنشطة الاقتصادية الاخرى ، لقد ادت تكنولوجيا المعلومات وفيضها الزائد الى زيادة الانتاج مما حدا ببعض الى ان يتساءل : هل اصبحت الرأسمالية الحديثة منتجة اكثر من اللازم؟ وكما يقول محمود عبد الفضيل فان التوسع الهائل في امكانات الانتاج سيصعبه تقلص فرص العمل وارتفاع معدلات البطالة بشكل دائم مما يؤدي الى قصور في الطلب ثم الركود والكساد الاقتصادي..هذه بصفة عامة ، أما اهم ملامح العلاقة المعلوماتية -الاقتصادية في رأي الكاتب فهي :

الاندماجات الاقتصادية الضخمة التي تتم حاليا في قطاعي المعلومات والاعلام وما ينجم عن ذلك من خلل في توزيع فرص العمل والانتاج والابداع الى حد الاحتكار

^(١) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص ٢٤-٢٦-٢٨

● الامور المتعلقة بالملكية الفكرية وتسعير خدمات الانترنت خاصة فيما يتعلق بشق المحتوى ، المادة الخام لصناعة المعلومات .

● التغيرات الجذرية المتوقعة في اقتصاد النشر الطباعي والسينما الترفيه.

وكعهدنا بها لا تتوقف تكنولوجيا المعلومات عن كشف آفاق معرفية جديدة ، وها هي تخرج الينا بمفهوم اقتصادي جديد ، ونقصد به اقتصاد التنبيه والتركيز attentionl economy والذي يهدف الى ترشيد استخدام الانسان لحواسه البصرية والسمعية ، وقدرته على التركيز واستخدامه موارد ذاكرته القصيرة والمتوسطة المدى .

لقد ظهرت اهمية هذا التوجه ازاء - حمل المعلومات الزائد-.. لقد زادت سرعة المعلومات ومعدل تدفقها في حين ظلت حواسنا وقدراتنا الذهنية ثابتة كما هي وهو ما يتطلب استخداما افضل لهذه الموارد حتى لا ينسحق الانسان امام اعصار المعلومات الجارف (^{١١}) .

لقد انعكست التوجهات الاقتصادية للمعلوماتية على الانترنت حيث انتقل من شبكة اشبه بالمنتدى العلمي والثقافي الى سوق التجارة الالكترونية ، بعدما كانت لدى مؤسسيها الاوائل قد وقفت موقفا حازما ضد أي نشاط تجاري او تسلسل اعلاني او اعلامي ، إذ أن القوى الاقتصادية التقليدية وجدت فيها قدرة فائقة على ربط مصادر الانتاج بمنابع الطلب وكونها وسيلة فعالة لنقل بضائع صناعة الثقافة عبر طرق معلوماتية فائقة السرعة ، وهكذا كما يعبر الدكتور علي -وطئت مؤسسات المال والتجارة والاعلام بأقدامها الثقيلة هذا -الحرم الاكاديمي - محيلة اياه الى متجر الكتروني وبوق اعلاني ومنافذ للتوزيع وساحة بحوث التسويق- .

وهكذا تحولت الانترنت الى وسيلة الكترونية للتجارة وبدأت مليارات الدولارات تتدفق عبر هذا الوسيط مقابل البضائع ذات الطابع الثقافي اساسا ، وهكذا تكون اكبر وسيلة لثورة المعلومات وتقنياتها تتحول الى تجارة سواء للمعلومات او للتقنيات

(^{١١}) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص ٨٨

الخاصة بها ، وهكذا جاءت الارقام الفلكية التي تتداولها هذه التجارة من الدولارات بسرعة لم يحلم بها تاجر ولا صناعي ولا اعلامي ، ومن هنا كان عصر عولمة الاقتصاد الذي جر وراءه عولمة الثقافة وحولها الى سلعة دولية مستخدما تقنيات المعلوماتية ذاتها وشبكة الانترنت الملموئية .

ان من الحقائق التي فرزها هذا التوجه الاقتصادي للمعلوماتية في عصر العولمة هو ما حدده يحيى اليحياوي في قوله : (ان العلم بدأ ينتقل تدريجيا ومنذ مدة من اقتصاد سوق تقليدي وملموس الى اقتصاد شبكات ذي تيارات مستمرة ومتسارعة يبرر جزئيا استعمالنا لمصطلحات الاقتصاد المعرفي او الاقتصاد اللامادي او الاقتصاد الافتراضي او الاقتصاد الجديد...الخ وبالتالي لم يعد البحث العلمي مرتبطا بابداع وتصميم السلعة او الخدمة بقدر ما اصبح مهتما بما ينتج عنها من ترابطات وتداخلات وتكاملات ، في ميدان تكنولوجيا الاعلام ووسائط الاتصال مثلا لم يعد البحث قطاعيا أي منحصر داخل قطاع واحد ، اتصالات او اعلام سمعي -بصري او معلومات...الخ بل اصبح يهتم بمدى ما يتم داخل القطاعات الاخرى بهدف الاستفادة منها او النسج على منواله) ^(١).

ان النظرة المباشرة الى الجانب الاقتصادي للمعلوماتية لا يمكن ان يقود الى الفهم الصحيح الا من خلال العولمة وعصرها الجديد والارقام التي يعكسها اقتصاد المعلوماتية في ظلها ، فمن أبرز مفاهيم العولمة الاقتصادية هي انها تقوم على { اندماج اسواق العالم في حقوق التجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال الاموال والقوى العاملة والثقافات والتقانة ضمن اطار من رأسمالية حرية الاسواق وماليا خضوع العالم لقوى السوق العالمية مما يؤدي الى اختراق الحدود القومية والى الانحسار الكبير في سيادة الدولة وان العنصر الاساسي في هذه الظاهرة هي الشركات الرأسمالية الضخمة متخطية الحدود } ^(٢).

^(١) التكنولوجيا والاعلام والديمقراطية ص٢٤

^(٢) الاتصال الدولي والعربي ص٨٥

أما آلية العولمة تقنيا ، فإنها تستخدم ثورة تكنولوجيا الاتصالات الجديدة ومنها الانترنت وتظهر صورة هذه الآلية التقنية من خلال -تضاعف استخدام هذه التقنية عالميا حتى جاوز الوقت الذي استهلك في الاتصالات ٦٠ مليار دقيقة عام ١٩٩٥ وتضاعف سوقها حتى قارب نصف مليار دولار سنويا ويزداد ١٠٪ سنويا وكذلك من خلال تقليل تكلفة الاتصالات الى ان تصبح شبه مجانية في غضون السنوات العشرة القادمة وعن طريق الانترنت الآن بإمكان أي شخص من منطقة الخليج التصل بأوروبا وأمريكا بتكلفة لا تزيد عن سنتات للدقيقة الواحدة

- في مجال الانترنت وهي الشبكة التي حطمت القيود والحواجز وحقت وحدة معلوماتية سيكون لها المستقبل وتأثيرها من خلال سعتها ومحتوياتها وحرية استخدامها ومن ذلك مستخدمو الانترنت اكثر من ٥٠٠ مليون مستخدم ، كما ان مواقع الانترنت التجارية والحكومية والخاصة قد تزيد على ٥٠٠ مليون موقع وهي تزداد يوميا بشكل سريع

- طرحت بدائل جديدة للتجارة تسمى الان التجارة الالكترونية ونشأت الاسواق الالكترونية وتحقت وحدة السوق العالمي وضخت المليارات الدولارات مثل مدينة الانترنت في دبي

- زادت صفحات الانترنت في نهاية عام ٢٠٠٠ على مليار ونصف صفحة والمستخدمون العرب اقل من ١٪ من مجموع المستخدمين.

تأثير وسائل الإعلام السياسي على الفرد

لا أحد يمكنه أن ينفي ما قدمته وتقدمه وسائل الإعلام - عموما - من خدمات كبرى في سبيل تنوير الرأي العام؛ بحيث أصبحت إحدى السبل التي لا مناص منها لتتبع ما يجري في المحيط الذي يحوم حول الإنسان، وكذلك في خلق آراء وتصورات وأهداف مشتركة بين أفراد المجتمع. هذا الدور المهم المناط بالإعلام مكنه من أن يكون إحدى وسائل التأثير القوية داخل المجتمعات، وإحدى وسائل الضغط الرئيسة على الحكومات والدول.

وتنقسم وسائل الإعلام إلى وسائل تقليدية ووسائل حديثة. الوسائل التقليدية هي التي ظهرت في البداية، وعرفت عصرها الذهبي في فترة الخمسينات كالصحف والتلفزيون والإذاعة. والوسائل الحديثة، التي تعتبر ظاهرة عالم اليوم والتي تتسع رقعتها أكثر فأكثر، هي على سبيل المثال الصحافة الالكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي (فيس بوك، تويتر...إلخ). وشكل ظهورها أفول العصر الذهبي للعديد من وسائل الإعلام التقليدية. كما أن هناك إعلام رسمي وهو الذي يكون خاضع للدولة وإعلام غير رسمي وهو الذي يكون غير خاضع للدولة والمعروف بالإعلام المستقل أو الحر.

ويمارس الإعلام تأثيره عبر مناهج متعددة. فالإعلام قد يعكس الواقع أي أنه يكتفي بنقل وتفسير ما هو موجود فعلا، وقد يصبو إلى خلق واقع آخر مغاير غير ذلك الموجود في بيئته (نقل أفكار جديدة أو نمط عيش جديد أو سلوك جديد...إلخ). وقد يكون الإعلام موضوعيا وصرى كما قد يكون ذاتيا أو مضللا بشكل يشوه الوقائع ومجريات الأمور، وذلك حسب ما يتوخاه الساهرون عليه الذي قد تحكمهم مبادئ وأهواء معينة أو إيديولوجية محددة وكذلك حسب خلفيات مموليه.

وفي حقيقة الأمر أن ليس كل الإعلام يؤثر على الأفراد والجماعات. فهناك إعلام لا يمارس أي تأثير على المتلقي أو أن تأثيره ضعيف، وهناك إعلام له تأثير قوي ونافذ وذلك حسب جودة هذا الإعلام وحسب قدراته المالية ومهنية مستخدميه. وما هو ملاحظ فإن تأثير وسائل الإعلام يتفاوت حسب درجات المستوى الدراسي والمعرفي للمتلقي، وحسب العمر والبيئة السوسيو-ثقافية والسوسيو-اقتصادية لهذا الأخير وأيضا حسب رغبة المتلقي في التعرض للتأثير الذي يمارسه الإعلام وذلك وفق ما يتماشى مع رغباته وأفكاره وعقيدته. فعلى سبيل المثال، درجة استيعاب متلقي ذو مستوى جامعي ليس كمن لا مستوى دراسي له، وأيضا تفاعل الأول مع الأحداث ليس بالضرورة كتفاعل الثاني مع ذلك. ومن جانب آخر، فإن الإعلام المتحيز الذي قد ينطلي على المتلقي البسيط لا يجد مكانه لدى المتلقي الخبير بالموضوع.

ووعيا منها بالأهمية والحساسية التي يكتنف عمل الإعلام، فقد سعت الأنظمة السياسية في جميع دول العالم - بدرجات متفاوتة وبطرق شتى - إلى محاولة التأثير في هذا الإعلام أو مراقبته أو تطويره أو احتكاره واستخدامه في حملات الدعاية و تمجيد نظام الحزب الواحد وضرب خصومه وتشويه صورتهم لدى الرأي العام. كما أن هناك العديد من وسائل الإعلام، خاصة المستقلة منها، قد عانت جراء ما سبق من المنع والتضييق والزجر نتيجة تخطيه للخطوط الحمراء التي تفرضها الأنظمة غير الديمقراطية، وأحيانا كنتيجة منطقية لخرقه للقانون.

وقد دخل الإعلام الحياة السياسية من بابه الواسع بعد أن أضحى إحدى مفاتيح الفوز أو الهزيمة في الانتخابات. ومعنى ذلك أن الإعلام يساعد المتلقي في تكوين رأيه السياسي ويدفعه من خلال ذلك إلى اتخاذ قرار التصويت لمرشح أو حزب ما أو عدم التصويت لصالحه. ويجدر التذكير هنا دور التلفزيون في ترجيح كفة مرشح الحزب الديمقراطي جون كيندي على منافسه الجمهوري رتشارد نيكسون في الانتخابات الرئاسية الأمريكية لعام ١٩٦٠. كما لعبت شبكات التواصل الاجتماعي دورا جوهريا في اشتعال فتيل ثورات الشعوب العربية على أنظمتها السلطوية أو ما سمي بالربيع العربي (تونس، مصر، ليبيا، سوريا).

وتعتبر وسائل الإعلام (التقليدية والحديثة) إحدى قنوات التواصل السياسي (Communication politique). فمن جهة، تلعب وسائل الإعلام دور الوسيط بين الحاكم والمحكوم (مثلا نقل خطاب الحاكم إلى الشعب) والتي من خلاله يتسنى لأعلى هرم في السلطة استعراض إنجازاته أو أهدافه أو تمرير رسائله أو تعبئة الوطن والمواطنين لغرض معين. ومن جهة أخرى، استطاعت الأحزاب السياسية تجنيد واستقطاب العديد من المناضلين والمناصرين عبر الجرائد والمواقع الإلكترونية وشبكات التواصل الاجتماعي واستعملت هذه الوسائل في حملاتها الانتخابية والدعائية وكذلك في برامجها المتعلقة بالتأطير. وتجدر الإشارة أن الهيئات الحكومية المعنية في الدول الديمقراطية تخصص حصصا زمنية محددة للأحزاب السياسية المشاركة في

الانتخابات داخل وسائل الإعلام السمعية البصرية، وتستعمل معايير مدروسة في تفاوت تلك الحصص (القوة التمثيلية للحزب داخل البرلمان مثلا).

ونود في الأخير أن نرصد في الأسطر التالية جانب من التأثير الذي تمارسه وسائل الإعلام الغربي ودوره في تكوين الصور النمطية المشوهة والمغلوطة عن الإسلام والمسلمين.

في الواقع، أغلب وسائل الإعلام الغربية تفتقد للموضوعية حالة ما إذا تعلق الأمر بالإسلام والمسلمين وذلك سواء على مستوى التحليل أو على مستوى التخريج. ومثال ذلك طريقة تعامل هذا الإعلام مع اعتداءات جيش الاحتلال الإسرائيلي المتكررة على الفلسطينيين داخل الأراضي المحتلة، حيث أن الصور التي يبتها هذا الإعلام وتحليلاته - ماعدا بعض الاستثناءات - تلاطف كثيرا إحدى ظواهر العلاقات الدولية القائمة على مبدأ « الغلبة للأقوى» وأن المنطق المعتمد هو منطق القوي وإن كان هذا المنطق غير سليم والتاريخ يفنده بقوة.

وفي حقيقة الأمر، ما يفسر هذا التحيز الذي يوجد داخل الإعلام الغربي - عموما - هو أن جزء كبير منه يجد تمويلاته من اللوبي الصهيوني أو أن مسيريه هم من الداعمين للكيان الصهيوني أو أنه يعكس منطق العداء المبيت والعلني للإسلام والمسلمين بشكل يدفع إلى تبني مواقف مضادة لكل ما هو آت من دار الإسلام داخل المجتمعات الغربية.

ومن تحصيل الحاصل القول أن من يمتلك الإعلام اليوم يمتلك السلطة أو يمتلك إحدى مفاتيح هذه الأخيرة. وإذا كان هناك إعلام يساهم في تنوير الرأي الإعلام ويزوده بالأخبار والمعارف ويساعد المتلقي في تكوين رؤية سياسية بناءة وسليمة فإن هناك إعلام آخر لا حياء له وهدفه هو التضليل وإشاعة الأشياء المغلوطة والفساد على الأرض.

المراجع والمصادر

- د. محمد البخاري: العلاقات العامة كهدف من أهداف التبادل الإعلامي الدولي، مقرر لطلاب الماجستير. طشقند: جامعة طشقند الحكومية للدراسات الشرقية، ٢٠٠٠.
- د. محمد نعمان جلال: العولمة بين الخصائص القومية والمقتضيات الدولي. القاهرة: مجلة السياسة الدولية، عدد ١٤٥، يوليو ٢٠٠١. ص ٤٢-٤٨.
- د. محمد البخاري: الحرب الإعلامية والأمن الإعلامي الوطني. أبو ظبي: صحيفة الاتحاد، الثلاثاء ٢٣ يناير ٢٠٠١. صفحة ٣٣.
- د. محمد البخاري: الأمن الإعلامي الوطني في ظل العولمة. أبو ظبي: صحيفة الاتحاد، الاثنين ٢٢ يناير ٢٠٠١. صفحة ٣٤.
- د. محمد البخاري: العولمة والأمن الإعلامي الدولي. مجلة "معلومات دولية" دمشق: العدد ٦٥/ صيف ٢٠٠٠. ص ١٤٤- ١٢٩.
- يرشوفات. ف.: آفاق قضايا الانتقال إلى المجتمع المعلوماتي في القرن الحادي والعشرين.
- غ.ل. صاموليان، د.س. تشيريشكين، ون. فيرشينسكايا، وآخرون . طريق روسيا إلى المجتمع المعلوماتي (الأسس، المؤشرات، المشاكل، والخصائص). موسكو: معهد نظم التحليل في أكاديمية العلوم الروسية، ١٩٩٧. ص (٦٤.
- ميليوخين ي. س.: تكنولوجيا المعلومات والعمل الحر. موسكو: غارانت - بارك، ١٩٩٧.
- زاسورسكي يا. ن.: المجتمع الإعلامي ووسائل الإعلام الجماهيرية .
- د. أحمد عبد الملك: كيف نحرر الإعلام من سيطرة الدولة؟ . أبو ظبي: الاتحاد، ٢٠٠٤./٥/١٣

- الإعلام السوري .. بين التحديث والمنافسة في عصر العولمة. مؤتمر الصحفيين. دمشق: الثورة: الثلاثاء ١٥/٨/ ٢٠٠٦م.
- د. الفت حسن آغا: النظام الإعلامي الأوروبي في عالم متغير. القاهرة: مجلة السياسة الدولية، العدد ١٠٩، يوليو ١٩٩٣
- جيهان رشتي: نظم الاتصال والإعلام في الدول النامية. ج ١. دار الحمامي للطباعة والنشر، ١٩٧٢
- حسن فؤاد: الصحافة العربية من وجهة نظر إسرائيلية. القاهرة: الأهرام، ٢٠٠٤/٧/٩.
- حسين العودات: الإعلام والتنمية. دراسة مقدمة إلى لجنة أليسكو لدراسة قضايا الاتصال والإعلام في الوطن العربي. تونس. ١٩٨٣
- خالد القشطيني: وداعا لعلم الأعلام. الرياض: الشرق الأوسط، ٢٠٠٦/١/١١
- خالد الحروب: الإعلام العربي كجزء من العملية السياسية والديمقراطية. أبو ظبي: الاتحاد، ٢٠٠٤/٧/ ١٤
- د. رياض نعان آغا: الثقافة والفكر في الإعلام العربي. أبو ظبي: الاتحاد، ٢٠٠٤/٧/١٠
- سامح كريم: قضايا معاصرة، أديب أمريكي يتنبأ بنتائج سياسات بلاده علي البشرية. القاهرة: الأهرام، ٢٠٠٤/٥/١٢
- إبراهيم إمام، «وكالات الأنباء»، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٤.
- إبراهيم الداوق، «قانون الإعلام: نظرة جديدة في الدراسات الإعلامية الحديثة»، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد

- إبراهيم عبده، «تاريخ الطباعة والصحافة في مصر خلال الحملة الفرنسية ١٧٩٨ - ١٨٠١»، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، القاهرة ١٩٤٩.
- إبراهيم نافع، «الانطلاق نحو السيول»، برنامج مقدم إلى الصحفيين، نقابة الصحفيين، القاهرة مارس، ١٩٩٥.
- إجلال خليفة، «الصحافة مقروءة ومسموعة ومرئية»، دار الطباعة الحديثة، القاهرة ١٩٧٦.
- أحمد بدر، «الاتصال بال جماهير بين الإعلام والدعاية والتنمية»، وكالة المطبوعات، ط ٢، الكويت ١٩٨٢.
- ثروت محمد محمد شلبي، «أزمة الخليج: الوعي الجماهيري، ووسائل الاتصال»، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٩١.
- جلال الدين الحمامصي، «المندوب الصحفي»، سلسلة دراسات صحفية، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣.
- جون. ر. بيتز، «الاتصال الجماهيري: مدخل»، ترجمة عمر الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، بيروت ١٩٨٧.
- جون ميلر، رالف لوشتاين، «الإعلام وسيلة ورسالة»، ترجمة ساعد خضر العراقي الحارثي، دار المريخ، الرياض ١٩٨٩.
- حسنين عبدالقادر، «الرأي العام والدعاية وحرية الصحافة»، ط ٢، القاهرة ١٩٦٢.
- حمدي حسن، «الوظيفة الإخبارية لوسائل الإعلام»، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩١.
- خليل صابات، «الإعلان: تاريخه، أسسه وقواعده، فنونه وأخلاقياته»، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ١، القاهرة ١٩٦١.

- خليل صابات، «الصحافة رسالة واستعداد وفن وعلم»، دار المعارف، ط ٢، القاهرة ١٩٦٧.
- خليل صابات، «نشأة وسائل الاتصال وتطورها»، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٦، القاهرة ١٩٩١.
- رادي فاسيليف، «الحالة الاجتماعية للصحفيين»، ترجمه بتصرف جورج الشماسي، مؤسسة بتر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٢.
- سامية جابر، «الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث: النظرية والتطبيق»، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨١.
- سعد ليبب، «عالمية الاتصالات والوطن العربي، في الوطن العربي والمتغيرات العالمية»، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٩١.
- سمير محمد حسين، «الإعلام التليفزيوني الخليجي والتنمية الشاملة»، جهاز تليفزيون الخليج، سلسلة دراسات وبحوث تليفزيونية ١٣، الرياض ١٩٨٨.
- سمير محمد حسين، «الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام»، مطابع سجل العرب، القاهرة ١٩٨٤.
- السيد الجزائري، «قضية كلينتون ومونيكا»، مطابع خليفة، ط ١، بيروت ١٩٩٩.
- عاطف عدلي العبد عبيد، «مدخل إلى الاتصال والرأي العام: الأسس النظرية والإسهامات العربية»، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٧.
- عاطف عدلي العبد، «دراسات في الإعلام العماني»، المجلد الأول، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٥.
- عبدالاله بلقزيز، «العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟»، مركز دراسات الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد الرقم ٢٢٩، مارس، ١٩٩٨.

الصفحة

الفهرس

٥	إهداء
٧	مقدمة
١١	الفصل الأول تصنيف وسائل الإعلام
٢٧	الفصل الثاني نشأة ونظريات الإعلام السياسي
٤٣	الفصل الثالث انواع ووظائف الإعلام السياسي
٧٣	الفصل الرابع الإعلام الوعي السياسي
٨٩	الفصل الخامس العوامل المؤثرة في الوعي السياسي
١٠٧	الفصل السادس الإعلام وتشكيل الوعي السياسي

حقوق الطبع محفوظة للناسر



أطلس

للتسحر والإنتاج الإعلامي

يحظر نشر أو اقتباس أي جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناسر

بات الاعلام يحتل مكانة مرموقة نتيجة لما يمتلكه من قدرة على التأثير والاقناع، وتشكيل الأفكار، وصياغة الرأي العام، حيث أصبح الاعلام عنصرا من عناصر التنمية وعاملا متزايدا الاهمية في التطوير السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

ونستطيع القول ان التطور الكبير الذي طرأ على وسائل الاعلام والاتصال والتكنولوجيا ساهم في ظهور وسائل اعلام حديثة تتميز بعنصر السرعة في نقل الخبر والمعلومة، مما جعله يخترق الحدود والحوجز بين الدول، ويصل الى جميع الناس من خلال استخدام وسائل جديدة مثل الانترنت، والموبايل وبرامجهما. وهذا عزز من دور الاعلام في المجالات كافة خاصة المجال السياسي.

تطور الاعلام السياسي مع تطور وسائل الاعلام المختلفة اذ أصبح يهتم بكيفية توظيف واستغلال تلك الوسائل في العملية السياسية، اذ يقوم بنقل وتحليل النشاطات السياسية وإتاحة المجال امام السياسيين وقادة الرأي للحصول على المعلومات ، وتلقي ردود افعال الناس نحو سياساتهم وقراراتهم ومواقفهم، مما عزز العمليات والخطوات المصاحبة لصنع القرار السياسي فضلا عن اعتماد الناس عليها في تكوينه وأعتقاده واتجاهاته ومواقفه المختلفة إزاء الاحداث والسياسات التي تقع داخل الواقع المحيط به.

I SSN 9789773996574



9 789773 996574

